

مسرحيات عالمية
البرجوازيون
تأليف : مكسيم جوركي
ترجمة وتقديم : أبوبكر يوسف حسين
مراجعة : ماهر عسل
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧١

مسرحيات عالمية

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة

للتأليف والنشر

اهداءات ٢٠٠١

ا.صلاح راتب

القاهرة

الثمن ١٠ قرش

العدد ٧٣

مسرحيات عالمية

البرجوازيون

تأليف : مكسيم جوركى

ترجمة وتقديم : أبوبكر يوسف حسين
مراجعة : ماهر عسل

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧١



مقدمة

« الانسان .. تلك هى الحقيقة .. الانسان كلمة تنبض بالكبرياء .. كل شىء فى الانسان .. كل شىء من أجل الانسان »

- ليس مكسيم جوركى (١٨٦٨ - ١٩٣٦) بغريب على القارىء العربى ، فقد قامت دور النشر والترجمة فى كثير من البلدان العربية بترجمة ونشر العديد من مؤلفاته ، وتناول كثير من النقاد أدبه وحياته بالبحث والتحليل حتى قل أن تجد منقفا عربيا لم يقرأ لجوركى أكثر من كتاب . من ذا الذى لم يقرأ «الأم» و «فى الحضيض» و « الفتاة والموت » و « نذير العاصفة » وغيرها وغيرها مما أبدعته ريشة الفنان العظيم ؟

وسنحاول فى هذه المقدمة أن نلقى نظرة سريعة على حياة جوركى ثم نتناول باختصار بعض مؤلفاته الهامة ، وأخيرا نقف قليلا عند مسرحه متعرضين لبعض مسرحياته ومن بينها هذه المسرحية : « البرجوازيون » .

حياته :

ولد أليكسى مكسيموفيتش بيشكوف (مكسيم جوركى) فى السادس عشر من مارس عام ١٨٦٨ فى مدينة نيجنى نوفجورد وكان

أبوه مكسيم سافاتييفيتش بيشكوف رئيسا لمكتب ملاحى فى مدينة استراخان ومات من جراء مرض الكوليرا فى عام ١٨٧٢ ولم يبلغ جوركى الصغير بعد الرابعة من عمره ٠

أما أم جوركى ، فارقارا فاسييلفنا فقد عادت بعد موت زوجها الى منزل أبيها فاسيلى فاسييليتش شيرين فى مدينة ينجنى نوفجورد والذى كان يعمل رئيسا لورشة طلاء ويمتلك ورشة طلاء صغيرة ٠ وكان كاشيرين هذا رجلا بخيلا غليظا قاسيا لا يمكن معاشرته ٠ غير أن ــ أليوشا (أليكسى بيشكوف) وجد فى جدته أكولينا ايفانوفنا مربية رائعة ، عطوفا لماحة فتحت عينيه على كنوز الأساطير والأغانى الروسية الشعبية ٠

وهكذا عاش أليوشا الصغير فى كنف جدته الحنون محتميا بها من قسوة جده الى أن حل يوم وجد فيه كاشـيرين نفسه مفلسا ٠ وبنظرة البخيل المفلس قال لأليوشا بغلظة : « لست قلادة أعلقها فى رقبتى ٠٠٠ لا مكان لك عندى اذهب بين الناس » وذهب أليوشا وهو فى التاسعة من عمره بين الناس يكسب قوت يومه ٠ وماذا كان فى وســع صبى مثله أن يفعل ؟ لم يكن أمامه الا أن يطوف بالشوارع والطرقات يجمع الخرق الممزقة والمسامير الصـدئة وكل النفايات التى كانت تصادفه فى الطرقات وبيعها لقــاء كوبيكات معدودة ٠ لقد بدأ جوركى الصغير حياة التشرد والفاقة ، تلك الحياة بكل مظالمها وشرورها ومخلوقاتها المحطمة الخربة ، بكل قســوتها وعبوسها ــ حفرت آثارها عميقة فى نفس الصـغير ، وأرست فيه كثيرا من القيم المضيئة التى استخلصها من ظلمات هذا العالم الذى ألقاه فيه جده والقدر ٠ لقد انفتح فجأة أمام الصبى عالم مرعب من الظلم والقسوة والفراغ والعذاب اللامجدى ، فأخذ يلاحظ كيف كان التجار والمرابون الجشعون الجهلة يطأون بأقدامهم المشـــاعر والآمال الانسانية الغريبة عليهم ٠ كان « قطيع الخنازير » هذا ــ كما سماهم

جوركى فيما بعد ـ يعبث بحب المعرفة وبجمال المرأة ونبل الانسان وتطلعه الى الحرية •

ومع ذلك ـ وكما ذكرنا من قبل ـ فبالرغم مما كان يحيط بجوركى من بشاعة الحياة الروسية الا أنه استشف فيهــا نواحيها المشرقة وانسانها الخير المناضل ضد قوى الظلام والأهم من ذلك كله أنه استمد من الظلم تمسكا بالعدالة ومن الشر ثقة فى الخير ومن الجهل ايمانا بالعلم ومن الضــياع والتشرد رغبة عارمة فى التغيير والثورة وايمانا راسخا بقوة الأنسان وعظمته •

وها هو ذا يكتب فى كتابه « الطفولة » : ان حياتنا تبعث على الدهشة لا لأن طبقة الحثالة الحيوانية فيها سميكة وخصبة فحسب ، وانما أيضا لأنه من خلال هذه الطبقة يبدو الشىء الساطع السليم الخلاق ، وينمو الشىء الطيب ••• الشىء الأنسانى »

وكان أهم ما ساعد جوركى على الغوص من خلال طبقة الحثالة الحيوانية هذه والنفاذ الى ما تحتها من كنوز جدته أكولينا وقصصها الخلاقة العامرة بالعوالم البعيدة التى يسودها السلام والمحبة والتى لا مكان فيها للشر والحقد • وكذلك لعبت « الكتب الصحيحة » دورا لا يقل عن هذا أهمية ، فقد غــذت روحه النهمة أفكار بوشـــكين وليرمنتوف وجوجول وليســكوف وأوسبينسكى وفلوتير وبلزاك • لقد علموه أن يحب الناس ويناضــل ضـــد الظلم وامتهان الكرامة الأنسانية •

وعندما بلغ جوركى السادسة عشرة (عام ١٨٨٤) قرر أن يلتحق بالجامعة فسافر الى مدينة كازان • لم يكن جوركى قد أنهى المدرسة الأبتدائية بل انه لم يدرس الا سنتين •• غير أنه كان قد قرأ كثيرا من الكتب الأدبية والعلمية واكتسب خبرة لا مثيل لها عند طالب الجامعة ، لذلك فقد قرر أنه لا يقل معرفة وادراكا عن طــالب

أنهى التعليم الثانوى الا أن أبواب جامعة كازان أقفلت فى وجهه ، ولم يبق أمامه الا أن يعود الى جامعة الحياة والعرق والكفاح من أجل اللقمـة ، فأخذ يعمل فى موانى نهر الفولجا بين الحمالين والوقادين ولصوص الموانى ٠٠ وكانت هذه الفترة من أهم فترات حياته ، فقد بدأ جوركى فيها يعى نفسه وعالمه المحيط به ، وعرف أن عليه أن يخلق شخصيته ومعارفه بنفسه بعد أن سدت أبواب الجامعة أمامه ٠ فانكب على القراءة بعد العمل ـ وكان وقتها يعمل ١٦ ساعة فى اليوم واستطاع أن يقرأ عددا ضـخما من كتب الأدباء الروس والغربيين ودرس مؤلفات النقاد الثوريين وتعرف على المجلات التقدمية فى ذلك العصر وقرأ الأعمال الفلسفية العلمية التى كانت تعج بها تلك الفترة من تاريخ روسيا ٠

وفى كازان بدأت اهتمامات جوركى بالسياسـة تظهر ٠ فقد كانت كازان كغيرها من المدن الروسـية الكبيرة ٠٠ مسرحا لحركة سياسية صاخبة ٠ كانت المدينـة ملأى بالحلقات السرية لمختلف الاتجاهات وأن كان الغالبية العظمى منهـا يغلب عليها اتجـاه « الشعبية » تلك الحركة السياسية التى سيطرت على أذهان كثير من المثقفين فى ذلك الوقت ٠

كان الشـعبيون يظنون أن روسـيا تستطيع أن تصل الى الاشتراكية عن طريق الثورة الفلاحية والجماعية الفلاحية دون الحاجة الى ثورة عمالية ولذلك فقد وجهوا دعايتهم الى الفلاحين وانطلقوا بين صفوفهم يحرضونهم على الثورة ٠ وأعجب جوركى بالشعبية ، ربما لأنه وجد فيهـا ثورة على علم الحيـاة ودعوة الى التحرر من ربقة العبودية ومنذ تلك اللحظة بدأت تتحدد أفكار جوركى الاشتراكية ٠

وفى منتصف عـام ١٨٨٨ قرر جوركى أن ينطلق فى أرجـاء روسيا الفسيحة ليعرفها عن قرب ، وعاد فى السنة التالية الى مدينة نيجنى نوفجورد وفى حقيبة سـفره أول مؤلف أدبى لم يقدر له أن

يصل الينا وهو « أنشودة شـجرة البلوط العجوز » التى قرأها للكاتب الروسى الكبير كورولينكو فأشار له الى نواقصها الـكثيرة فحرقها جوركى وقرر عدم الكتابة وبالفعل فقد مرت بعدها سنتان قبل أن يعود الى الـكتابة من جديد وعاد جوركى الى التجوال فزار مدن نهر الفولجا السفلى ومناطق الدون وأوكرانيا وشواطىء البحر الأسود وكان يعمل أثناء ذلك فلاحا وصيادا وحارسا ليليا وحمالا • وقد قبض عليه مرة أثناء تجواله ولمـا سأله الشرطى لماذا يتجول قال « أريد أن أعرف روسيا ! » وبالفعل فقد أعطاه هذا التجوال خبرة عظيمة بالحياة الروسية ومادة أدبية لا تنفد •

وفى عام ١٨٩١ وصل جوركى الى مدينة تفليس (الآن تبليس عاصمة جمهورية جورجيا) وكانت آنذاك مركزا صناعيا كبـيرا • وعمل جوركى بين عمال السكك الحديدية كداعية سـياسى وكان لحياته هذه بين العمال أثر لاينسى فى بلورة أفكاره الثورية ووعيه الطبقى • فبعد أن عمل جوركى وسط العمال مدة عام راوده حلمه القديم فى أن يصبح كاتبا فكتب أول قصصه القصيرة «ماكار تشودرا» استمد موضوعها من واقع مارآه وعاشـه خلال تجواله الطويل فى أنحاء روسيا واستطاع أن ينشر هذه القصة فى جريدة « القوقاز » التفليسية عام ١٨٩٢ وأراد أليكسى مكسيموفيتش بيشـكوف أن يختار اسما أدبيا مستعارا فوقع القصة باسم مكسيم جوركى ومعلوم أن مكسيم هو اسم أبيه ، أما جوركى ـ وتعنى فى الروسية « المر » فاسم استمده أيضا من واقعه المرير الذى كان يحياه • ومن ذلك اليوم واسم مكسيم جوركى (مكسيم المر) يحتل مكانة عالية بين أسماء الخالدين فى عالم الأدب •

وتميزت فترة التسعينات (١٨٩٠ ـ ١٨٩٩) فى حياة جوركى الأدبية بنشاط كبير اتخذ طابع الرومانسية الثورية التى وجد فيها جوركى الصورة الملائمة للتعبير عن الحماس الثورى المتزايد فى ذلك

الوقت والذى مهد للثورة الروسية الأولى عام ١٩٠٥ فبعد « ماكار تشودرا» ظهرت فى عام ١٨٩٥ قصته الرومانسية المشهورة «العجوز ايزرجيل» التى يفضح فيهـا جوركى الأنانية الاجتماعية ويحض على النضال من أجل سيادة البشر • ثم تظهر « أنشودة الصقر » فى نفس الفترة تمجد البطولة والكفاح والتطلع الى الآفاق اللامحدودة حيث الحرية والكرامة والمجد • ثم قصة « الخان وابنه » ومن قبلها الأسطورة الشعرية « الفتاة والموت » •

ومن الملاحظ أن هـذه القصص الرومانسية وغيرها اتخـذت شكل الأسـطورة أو الأغنية أو الحكاية ، الا أنها مشـبعة بالروح الرومانسية الحماسية المتفائلة •

وبطل الأساطير الرومانسية عند جوركى هو الأنسان المناضل من أجل سيادة الآخرين والمضحى بنفسه من أجل انقاذهم اذا تطلب الأمر • والكاتب يؤكد عظمة هذه البطولة وسـموها مقارنا اياها بالبطولة الفردية الأنانية التى لا تجلب نفعا لأحد حتى ولا لصاحبها، الذى غالبا ما ينتهى نهاية وحيدة حزينة كنهـاية العجوز ايزرجيـل نفسها • وفى مقابل النهاية البائسة لكلارا بطل الأسطورة الأنانى الفرد ، يضـع جوركى النهاية البطولية لدانكو الذى مزق صدره وانتزع منه قلبه وحمله عاليا فوق رأسه كالشمس فأضـاء لقومه الطريق وسـط الظلمات وأخرجهم من مجاهل الغابة الى المروج الخضراء الفسيحة •

وربما يبدو غريبا أن يتجه كاتب مثل جوركى ـ ولو فى بداية حياته الأدبية ـ الى الرومانسية ، التى كان الأدب الروسى قد تخطاها الى الواقعية من مطلع القرن التاسع عشر على يد بوشكين وجوجول وليرمنتروف وتورجنيف وغيرهم •• ولـكن الحقيقة أن جوركى وجد فى الرومانسية ـ كما ذكرنا ـ أنسب صـورة للتعبير عن واقع الشعب الروسى فى تسعينات القرن التاسع عشر • لقد كان النظام

القيصرى يضغط بكل ثقله على ملايين الفلاحين المطحونين ، وظهرت على مسرح الأحداث قوة جديدة تعرضت لنفس الضغط وعانت من نفس الاستغلال ألا وهى الطبقة العاملة الروسية • ومن أن اصطدام هاتين القوتين بالسلطة القيصرية لم يبدأ الا فى أول سنوات القرن العشرين ، الا أن جوركى قد أحس فى التسعينات بشعور السخط المتزايد لدى الجماهير العريضة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وأراد أن يؤجج هذا الشعور ويلهبه فقدم الى النفوس العطشى الى البطولة شخصيات رومانسية أسطورية ، قادرة على صنع المعجزات ومناضلة بشجاعة وروعة وكبرياء ضد شرور عالمها الرهيب ومظالمه •

ومن الخطأ الظن بأن جوركى بدأ حياته الأدبية رومانسيا ثوريا ثم انتهى الى الواقعية • فبنظرة بسيطة الى الترتيب الزمنى لمؤلفاته نستطيع بسهولة أن نلاحظ أنه فى نفس الفترة التى كتب فيها قصصه الرومانسية كتب أيضا كثيرا من القصص القصيرة مثل « يميليان بيلاى » (١٨٩٣) « الجد أرخيب وليونكا » (١٨٩٤) « استنتاج » (١٨٩٥) و « كانوفالوف » (١٨٩٧) و « الشقى » (١٨٩٧) و « الزوجان أرلوف » (١٨٩٧) وغيرها من القصص التى تعتبر مثالا للأدب الواقعى •

والى جانب نشاطه الأدبى فى تلك الفترة ككاتب يهتم جوركى بالنشاط الصحفى فينتقل الى مدينة سمارا ـ حسب نصيحة الكاتب كورولينكو ـ حيث يعمل فى « جريدة سمارا » فيكتب مقالات ساخرة يوميا ويوقعها باسم مستعار • وبعد أن يجمع جوركى ما كتبه فى فترة التسعينات من قصص ومقالات فى مجلدين صدرا عام ١٨٩٨ تعم شهرته البلاد ، وما أن يبدأ القرن العشرون حتى يكون قد تعرف على تشيخوف وتولستوى وبعدها بقليل تترجم قصصه الى اللغات الأخرى وتمثل مسرحياته فى العواصم الأوربية •

وبهذا تبدأ مرحلة جديدة فى حياة جوركى الأدبية وفى حياته السياسية كذلك ·

انه الآن يعيش فى مسقط رأسه مدينة ينجنى فوفجورد تحت رقابة صارمة من قبل البوليس القيصرى · غير أنه لا يبدأ بهـذا ويواصل تأليب الجماهير على الحكومة فيكتب الأنشـودة الملتهبة « نذير العاصفة » (١٩٠١) فألقت به السلطات رغم مرضه الشديد فى سجن المدينة · لكن جوركى الآن لم يعد ذلك الصبى الضال فى طرقات المدينة يجمع ما يصادفه من خرق بالية ليكسب بها لقمـة العيش · انه الآن الكاتب المشـهور ، المدافع عن أمانى الجماهير المناضـلة وآمالها ، فسرعان ما تهب المظاهرات فى المدينة مطالبة بالأفراج عنه ، وتضطر السلطات الى اطلاق سراحه مكتفية بتحديد اقامته فى أرزماس ·

وبالرغم من ذلك وفى عام ١٩٠٢ يمنح جوركى أسمى تقدير أدبى فى ذلك العصر اذ يختار عضـو شرف فى أكاديمية العـلوم الروسية فرع اللغة الروسية وآدابها · ويجن جنون القيصر نيقولا الثانى فيرسل كتابا الى وزير التربية يقول فيه « أكلفك أن تعلن بناء على أوامرى الغـاء انتخاب جوركى » ويعبر الكاتبان الكبيران كورولينكو وتشـيخوف عن احتجاجهما على قرار القيصر فيعلنان تنازلهما عن لقب عضو الشرف فى أكاديمية العلوم ·

ان عام ١٩٠٥ الآن فى بدايته وبالتحديد ··· اليوم الأحـد ٩ يناير ··· جموع غفيرة من العمال تتجه الى البلاط القيصرى فى مسيرة سلمية لترجو القيصر أن يتدخل ليرفع عنهم الظلم وينتشلهم من البؤس الغارقين فيه ····

كان الجميع على علم بهذه المسيرة السلمية ··· وجوركى قد طالب باتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع اصطدام الجنود بالعمال العزل·

ولكن مشيئة القيصر أرادت ليوم الأحد أن يعرف فيما بعد باسم « الأحد الدامى » حيث تحولت ساحة القصر الى بركة كبيرة من الدماء تسبح فيها جثث العمال بالعشرات ٠

وعلى الفور أصدر جوركى بيانا يندد فيه بما حدث ويحض الشعب على الثورة المسلحة ضد الحكم القيصرى من أجل اسقاطه ، وكان العقاب فى هذه المرة مساويا لجسامة التهمة لقد ألقى بجوركى فى غياهب قلعة بطرس وبافل الرهيبة ، ذلك الجب الذى يعتبر من دخله فى عداد الهالكين ٠ وسرت اشاعة قوية فى أنحاء البلاد أنه سوف يعدم لتحريضه على قلب نظام الحكم ٠ وسرعان ما تعم المظاهرات مدن روسيا وأوربا مطالبة باطلاق سراحه ٠٠٠ ويكتب أناتول نراقس : ٠٠ أن قضية جوركى هى قضيتنا المشتركة ٠٠٠ فموهبة كموهبة جوركى ملك للعالم أجمع ، والعالم كله مهتم باطلاق سراحه » ٠ وتحت هذا الضغط الشديد من قبل الرأى العام المحلى والعالمى تفرج الحكومة القيصرية عن جوركى بعد دفع ضمانة مالية كبيرة ٠

ولكن جوركى لا يهدأ ٠٠٠ فالثورة قد نشبت فى موسكو فى ديسمبر ٠٠ وينغمس جوركى فى العمل الثورى بكل قواه ٠٠ فيساعد الثوار على شراء الأسلحة ويعينهم على جمع التبرعات للانفاق على الثورة ، وتصبح شقته ملتقى لأعضاء الفرق المسلحة وتجهز فيها القنابل اليدوية ٠

ولم يقدر لهذه الثورة أن تنجح ويصبح جوركى مهددا بخطر الاعتقال من جديد ، ولا أمل فى الأفراج لو اعتقل هذه المرة ، فالقوى الثورية سحقت بشدة ، والديكتاتورية البوليسية أطبقت قبضتها على الشارع ٠ ويقرر جوركى الرحيل الى الخارج ٠ ويزور فرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، ثم يستقر أخيرا فى ايطاليا فى جزيرة

كابرى حيث يقضى فيها ثمانى سنوات حتى نهاية عام ١٩١٣ عندما أوقفت الحكومة الروسية اجراءات ملاحقته ٠

كانت فترة المهجر بالنسبة لجوركى فترة ابداع وخلق الى جانب ما باشر فيها من عمل سياسى واجتماعي ٠ فبعد زيارته للولايات المتحدة وفرنسا يلجأ جوركى الى قلمه الساخر ليكتب عدة مقالات نقدية عن نظام الحكم الاستغلالى فى البلدين ، فيكتب عن أمريكا « مدينة الشيطان الأصفر » وعن « فرنسا الرائعة » بعد أن قدمت الحكومة الفرنسية قرضا ماليا للحكومة الروسية لتدعيم مركزها فى مواجهة الثوار ٠ وفى الفترة نفسها تظهر أشهر مؤلفاته « الأم » ، حياة انسان زائد عن الحاجة ، و « مدينة آكوروف » و « حياة ماتفى كوجيمياكين » و « فاسا جيليزنفا » و «الصيف» و « قصص عن ايطاليا » و «مولد انسان» والجزء الأول من ثلاثيته المشهورة التى تناول فيها حياته وهى « الطفولة » ، «بين الناس» و « جامعاتى » ٠

كما ينظم جوركى فى كابرى مدرسة للعمال الثوار يقرأ فيها محاضرات عن تاريخ الأدب الروسى ٠ وقد جمعت هذه المحاضرات فى كتاب صدر فيما بعد عام ١٩٣٩ ٠

ويعود جوركى الى روسيا عام ١٩١٣ وينخرط فى سلك الحياة الأدبية والاجتماعية من جديد ويعمل بكل قواه على تدعيم الاتجاه الجديد الذى يمثله الكتاب الثوريون فيصدر لهم مجموعة قصص عام ١٩١٤ ويشترك فى تحرير مجلة « ليتوبيس » حيث ينشر قصيدة « الحرب والسلام » لمايكوفسكى ويتم التعارف بين جوركى والشاعر فى هذه الفترة ويكرس جوركى معظم وقته فى مساعدة الأدباء الشبان وفى مهاجمة السياسة الاستعمارية للحكومة القيصرية ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يجد الوقت ليكتب الجزء الثانى من ثلاثيته « بين الناس » ٠

وبانتصار ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ أصبح على جوركى أن يعمل بالدرجة الأولى فى تنظيم الحركة الأدبية لخلق ثقافة اشتراكية جديدة وبتكليف من الحكومة السوفيتية ينشىء جوركى لجنة مساعدة العلماء ودار النشر «الأدب العالمى» ويشرف على تحرير مجلة «العلم والعلماء» (١٩٢٠ ــ ١٩٢٢) ، ويكتب فى عام ١٩١٩ ذكرياته عن تولستوى ويتولى أيضا تحرير مجلة «الأرض الحمراء» .

فى عام ١٩٢١ يسافر جوركى مرة أخرى الى ايطاليا ... لكنه فى هذه المرة لم يسافر هاربا من قيصر يتربص به ... ان العدو فى هذه المرة هو .. السل : لقد اشتدت عليه وطأة المرض بعد ذلك المجهود الشاق الذى بذله فى السنوات السابقة فرحل طلبا للعلاج والراحة .

لقد طالت فترة غياب جوركى عن الوطن هذه المرة أيضا ، فقد حكم عليه الداء أن يبقى سبع سنين فى ايطاليا ، ولم يقدر له أن يعود الى وطنه الا عام ١٩٢٨ . وها هو ذا جوركى يقدم لنا فى هذه الفترة الجزء الثالث من الثلاثية « جامعاتى » ورواية « قضية آل أرتامونوف » ، والجزء الأول والثانى من الملحمة الكبيرة « حياة كليم سامجين » ومسلسلة من الذكريات عن الشعراء والكتاب الروس كورولينكو وبلوك ويسينين وأندرييف .

وبعد عودته الى الوطن يحن جوركى الى تلك الأماكن التى طاف بها أثناء تجواله الطويل على قدميه عندما أراد « أن يعرف روسيا » .. وربما كانت الغربة الطويلة هى التى بعثت فيه هذا الحنين الدفين فينطلق عام ١٩٢٨ فى رحلة طويلة ــ هذه المرة مسافرا فيزور شبه جزيرة القرم وباكو وتبليسى ومسقط رأسه نيجنى نوفجرد (التى سميت فيما بعد بمدينة جوركى) وكورسك وأرمينيا ومورمانسك .. لقد طاف تقريبا بجميع أرجاء الاتحاد

السوفيتى ٠٠ وبعـد أن يعود من هذه الجولة يكتب سلسـلة من المقالات بعنوان « فى أرجاء الاتحاد السوفيتى » عما شاهده ولمسه من تطور وتحولات فى أناس ما بعد الثورة ٠

لقـد أصبح جوركى الآن ـ وباعتراف الجميع ـ أبا للأدب السوفيتى ، وهاهو ذا يعمل بكل طاقته من أجل تنظيم الكتاب والأدباء السوفييت فى اتحاد يجمعهم ويوحد جبهتهم للمشاركة فى معركة البناء الداخلى ٠ وتحت رئاسته ينعقد أول مؤتمر للكتاب السوفييت عام ١٩٣٤ ، حيث استمع الحاضرون الى تقرير كبير ألقاه جوركى عن الأدب السوفيتى ، ثم تماختياره رئيسا لاتحاد الأدباء السوفييت ٠

ويواصل جوركى نشاطه الأدبى أيضا فيصدر فى هذه الفترة مجموعة من القصص القصيرة سماها « قصص عن الأبطال » تتناول حياة بناة المجتمع الجديد وآمالهم ومآثرهم ٠ غير أن عام ١٩٣٤ كان يحمل لجوركى فى طياته طعنة دامية فى القلب ، فقد قتل ابنه الوحيد مكسيم ٠٠٠ ويقال أن قتله كان جزءا من مؤامرة مدبرة ضـد جوركى ، دبرتها العناصر المعـادية للثـورة بتحريض من تروبسكى ٠٠٠ ولكنجوركى يتحمل الصـدمة بشجاعة ويواصل نضاله بعزمه الذى لم يعرف يوما طعم اليأس ولا معنى الهزيمة ٠٠ ويظل جوركى مشرعا قلمه فى وجه الأعداء حتى يسقط من يده فى ١٨ يونيو عام ١٩٣٦ ٠٠ فأى مشـعل للفكر قد انطفأ ، وأى قلب توقف عن الخفقان ! ٠

***

ذكرنا من قبل أن الفترة الأولى فى حيـاة جوركى الأدبيـة (١٨٩٠ ـ ١٨٩٩) قد تميزت باتجاهين رئيسيين لجأ اليهما الكاتب فى معالجته للمواضيع الأدبية والنماذج البشرية التى قدمها الينـا من خلال مؤلفاته ونعنى بهذين الاتجاهين : الاتجاه الى الرومانسـية والاتجاه الى الواقعية ٠ وقد توقفنا قليلا عند رومانسية جوركى

فى تلك الفترة ، ويهمنا هنا أن نتوقف قليلا عند واقعيته أيضا فى تلك الفترة •

عمن كان جوركى يتحدث ، وأى أبطال صورهم وقدمهم لنا عندما كتب « بيمليان بيلاى » و « العم أرخيب وليونكا » و « كانوفالوف » و « تتسيلكاش» وغيرهم ؟

انهم أناس « القاع » المحطمون المعذبون بكل ما فيهم من قسوة وخسة وضياع ، وبكل ما فيهم من نبل وانسانية ، انهم الآلاف التى قابلها جوركى فى سياحته تلك الطويلة فى روسيا القيصرية الاقطاعية • انهم ضحايا المجتمع الروسى والحياة الروسية التى كانت تضغط عليهم بكل ثقلها لتجعل منهم فى النهاية ضحايا كتب عليهم الهلاك • وهم ليسوا مذنبين فى أن الأقدار وزعت هكذا وليس فى مقدورهم رد تلك القوة الرهيبة التى تدفعهم دفعا الى هذا العذاب وهذا المصير •

ها هو ذا الجد وحفيده يهيمان بعيدا عن احدى المقاطعات التى افترسها الجوع ، شريدين جائعين مريضين • ومع أن الحفيد مازالت عيونه تلمع بالذكاء والجرأة والقدرة على صنع شيء ما ، الا أنه قد كتب عليه الهلاك غرقا فى أحد الجيوب عندما يفر ليلا أثناء العاصفة فزعا من جده المحتضر • (الجد أرخيب وليونكا) •

وها هو ذا الأسطى الروسى الفذ « الفنان فى عمله » تقتله الخمر والبؤس وقسوة الحياة حوله • انه كانافالوف الذى كان من الممكن أن يصبح بطلا حقيقيا لكن الواقع الذى أحاط به جعل منه ومن أمثاله ـ كما قال جوركى فيما بعد ـ « أناسا قادرين فقط على الاعجاب بالبطولة ولكنهم ليسوا أبطالا وفى الأحيان النادرة يمكنهم أن يصبحوا فرسانا لمدة ساعة » •

وذلك الشاب القروى الطيب القلب الأزرق العينين النقى السريرة يركع عند أقدام تشيلكاش ويسأله نقودا ويعترف له أنه كان مستعدا لقتله من أجل النقود : « أنظر فيم فكرت ... عندما كنا قادمين الى هنا ... قلت لنفسى : أضربه بالمجداف ... أعنى أضربك .. وآخذ النقود وأرميه فى البحر ... أقصد أرميك ... أرأيت ؟ وقلت : من ذا سيعلم باختفائه ؟ » .

ومع ذلك فان جوركى يصور هؤلاء الضحايا من زاوية جديدة . انه يركز على السبب الاجتماعى خلف ضياع هذه الآلاف ، وفى بعض الأحيان يضع أيدى هذه الضحايا على سر بلواها فتعرفه وتقوله صراحة .. لكنها لم تعد بقادرة على تغيير مصيرها فقد فات الأوان فكانا فالوف نفسه يقول : « الناس يولدون من أجل الأسياد » ويبتسم فى سخرية ـ « ما أغرب أمر الانسان ! أنظر .. هاهم يمدون سككا حديدية .. وسينشأ هنا ميناء أيضا . فمن الذى يبنى ؟ النـاس . ولمن الفائدة ؟ للسادة . سيعمل الناس هنا قليلا ثم يمضون فى البحث عن عمل ، ولا شىء أكثر . وسيبقى فى الميناء المهندسون والتجار وغيرهم » .

وليونكا (الجد أرخيب وليونكا) يقابل فتاة تبكى فيهدئها وتنشأ بينهما صداقة ، وعندما يريد أن يرافقها حتى المنزل تقول له « لا داعى .. لا تذهب .. ان أمى لا تحب الشحاذين » ! حتى بين الأطفال تهدم الفروق الاجتماعية العواطف الانسانية النبيلة !

ولم يكن عجيبا أن تفطن الرقابة القيصرية الى هذا الاتجاه عند جوركى فمنعت نشر كلمات كانافالوف التى أوردناها ، وكتب الرقيب فى تقريره عن القصة يقول « لقد أثارت قصة

جوركى « كانافالوف » اهتمام الرقابة الخاص . فهى قصة فى كثير من جوانبها ذات اتجاه اجتماعى وتحريضى حاد » .

وبحثا عن السبب الكامن وراء ضياع « أناس القاع » يبدأ جوركى فى كتابة عدة قصص تصور أولئك الذين يصنعون الضحايا ويدفعون بهم فى الطريق المسدود لكى يسيطروا هم على مقدرات الحياة .

وهكذا يظهر وجه جديد فى قصص جوركى القصيرة .. انه تيخون بافلوفيتش (قصة « العم ») الطحان يتذكر كلمات ذلك الفلاح الذى دفع به تيخون الى الافلاس : « حسنا .. اذن وداعا يابافليتش .. فليحاسبك الله .. وستذكر دموعنا اليتيمة وتجأر بالألم أنت أيضا أيها الصديق الرقيق ! » .

وهو أيضا التاجر بيتونيكوف (قصة « كانوا بشرا ») مزيج الثعلب والخنزير . وهو يبنى مصنعا رمزا للمكان الذى يشغله بيتونيكوف فى الحياة « أحمر ، وكأنه مطلى بالدم أشبه بماكينة قاسية لم تعمل بعد ولكنها فتحت فكيهـا الواسعين اللامعين بشراهة استعدادا لالتهام أى شىء ومضغه مضغا » .

وبرغم قسوة الحياة وبؤسها ، الا أن جوركى لم يفقد ايمانه بالانسان ، ولم يغفل عن تصوير تلك النواحى الانسانية التى ظلت كامنة فى نفوس ضحايا القاع . وفى هذا النبل الانسانى للنفس البشرية بحث جوركى - قبل كل شىء .. عن تلك القوة التى ستعين الانسان على الوقوف فى وجه عنت الحياة . فعند الجسر يقف بميليان بيلاى ، شريد الحياة وضحيتها ، يقف ممسكا فى يده قطعة من الحديد منتظرا التاجر أبايموف القادم يحمل حصيلة الأسبوع : « أرقد وانتظر وفى قلبى يا أخى فى تلك الساعة من الحقد مايكفى لعشرة من التجار » . ولكن فتاة

صدمتها هذه الحياة تقترب من الجسر وتريد أن تلقى بنفسها فى النهر . ومن تحت طيات الحقد يمشى يميليـان على النبوغ الانسانى الكامن فيغرف منه من الكلمات والمشـــاعر مايحول الفتاة عن قصدها ويرد اليها ايمانها بالحياة .

وجوركى كذلك يؤمن بأن هذه العواطف والمشاعر التى ظلت باقية فى النفس البشرية المطحونة هى التى ستمكنها من الثبـات وعدم رفع راية التسليم أمام ظلم الواقع مهما دفع بها هذا الظلم الى الحضيض . وهذه المشاعر نفسها هى التى ستدفع بانسان القاع الى الرفض والمقاومة ولو فى أبسط صورهـا .. ولو تـكون انتحارا ، فالانتحار يعنى الرفض والمقاومة بالنسبة لأولئك الذين لم يبق لهم شيء .. انه رفض سلبى للواقع المرير .. ولكنه رفض على كل حال .. وهو مرحلة لابد وأن تتلوها مراحل :. وهـــذا ماحدث .

فى نهاية تسعينات القرن التاسع عشر وبداية القـــرن العشرين تحول جوركى من القصة القصيرة الى الرواية والمسرحية . وكان هذا التحول يعنى أن الكاتب قد اعتزم أن يطرق موضوعات جديدة وأحداثا كبيرة ، ويصور شخصيات ونماذج من الحياة ، لم تكن القصة القصيرة بقادرة على طرقها بطبيعة تكوينها ووظيفتها الفنية . والذى يعنينا من هذه الفترة روايتان كبيرتان ومسرحيات جوركى . وسنتناول أولا الروايتين ثم نتوقف بعد ذلك على مسرح جوركى .

والرواية الأولى « فوما جوردييف » سنة ١٨٩٩ أقل شهرة من الرواية الثانية « الأم » سنة ١٩٠٧ التى لا يذكر اســـم جوركى الا تبادر الى الذهن ، تلك الرواية التى بدأ جوركى كتابتها منـــذ عام ١٩٠٣ .

واذا كان جوركى قد صور فى أقاصيصه الأولى ضحايا الواقع الروسى المر ، كما صور أولئك الذين يقفون خلق مأساة الضحايا ، أولئك الذين يصنعون الضحايا ، فهو هنا فى « فوما جوردييف » يريد أن يبين كيف يرتد السلاح الى صدر القاتل فيرديه ، وهو بذلك لا يفضح مجتمع القتلة والمقتولين فحسب ، بل يصل فى النهاية الى رفضه رفضا تاما ٠

والقصة تدور فى محيط طبقة التجار الروس ٠ والكاتب يصور نماذج من هذه الطبقة بذكائهم وقوة شخصياتهم ونفوذهم، بل أحيانا بحبهم للمعرفة والثقافة ٠٠ غير أن هذه القوة وهذا الذكاء موجهان الى اضطهاد الآخرين ، ومن ثم تصبح قوة شريرة وذكاء بغيضا ٠٠ أولئك هم ايجنات جوردييف والد فوما ، وياكوف ماياكين ٠ وحتى ممثلو الجيل الثانى من هذه الطبقة (ماياكين الشاب وسمولين) لا يجردهم جوركى من تلك الصفات ، بالعكس انه يظهر أن تلك الثقافة والمعرفة التى تحلوا بها انما هى لخدمة مآربهم الشخصية ولمواصلة طريق الآباء فى النهب والسلب ٠ ان الثقافة هنا سلاح فى يد أولئك التجار ، بل هى قناع ماكر للاستمرار فى عملية القرصنة فى ظروف أصبح من المستحيل فيها السلب السافر نظرا لارتفاع الوعى لدى المسلوبين ٠ وكان جوركى يريد أن يقول أن الثقافة اذا لم توجه لمصلحة الشعب بل وجهت لخدمة المال فانها بذلك تصبح نيرا جديدا يضاف الى أكتاف جماهير العاملين ٠

والبطل الرئيسى فى رواية « فوما جوردييف » هو فوما نفسه ، الذى ورث عن أبيه شيئين : ثروته الطائلة ، وذلك الشعور الذى كان ينتابه أحيانا من أنه « ليس سيد عمله بل العبد الذليل لهذا العمل » وفوما شاب قوى سليم يريد حياة حرة لا يكون فيها هذا العبد الذليل ٠ لذلك فهو يصرخ فى وجه

ياكوف ماياكين (تلك الشخصية التى ركز فيها جوركى أقوى ملامح التاجر الروسى) ـ عندما يقول الأخير ان « التجار هم أفضل القوم فى الحياة » ، يصرخ فوما قائلا : « ليس حياة » ماصنعتم بل سجنا ٠٠ ليس نظاما ما أقمتم ، بل أغلالا كبلتم بها الانسان٠٠ الحياة خانقة ٠٠ ضيقة ٠٠ ولا موضع للنفس الحية تتحرك فيه ٠٠ ان الانسان يهلك أيها القتلة ! فهل تفهمون أنكم لم تظلموا أحياء الا بفضل صبر البشر ؟ » ٠

وفوما جارديف بهذه الصورة ابن عاق لطبقته ٠٠ وجوركى يريد أن يقول أن المشاعر الانسانية الطبيعية مثل الشفقة على الناس ، والنبل والعدالة ، وكل ماتحلى به فوما من صفات طيبة لابد وأنها ستتعارض مع الوضع الذى كان فيه فوما ومع المحيط الذى كان يحيا فيه ٠ واذا كان يريد أن يظل كغيره من أبناء طبقته « أسياد الحياة » فعليه أن يقهر تلك المشاعر ويبدلها بنقيضها والا فستلفظه طبقته ٠ ومع أن سخطه ورفضه لواقعه ظل مع هذا رفضا فرديا محكوما عليه بالفشل ، الا أنه مع ذلك رافض (وهو لهذا السبب خطير على طبقته الى حد ما) وبالتالى فالتخلص منه أمر ضرورى ، ويتولى ماياكن هذه المهمة فيعلن أنه مجنون ويرسله الى مستشفى المجاذيب فلا يخرج منه الا وهو مجنون بالفعل !

فى عام ١٩٠٢ وفى مدينة سورموف سارت أول مظاهرة فى روسيا بمناسبة عيد أول مايو الذى قررت الحركة الثورية فى روسيا أن تحتفل به منتقلة بذلك الى مرحلة جديدة من مراحل الكفاح ٠ وقد تزعم هذه المظاهرة عامل يدعى بيوتر زالوموف ، ألقى القبض عليه وجرت محاكمته ثم نفى الى سيبيريا ٠

وأوحى هذا الحدث لجوركى بفكرة رواية « الأم » التى صدرت

كما قلنا فى عام ١٩٠٧ ومن يومها شغلت المكان الأول بين مؤلفات جوركى وطبقت شهرتها الآفاق وترجمت الى معظم اللغات الأوروبية والشرقية وبالطبع الى اللغة العربية ٠

غير أن الرواية بالطبع لم تصور أحداث تلك المظاهرة فحسب ، ولكن جوركى استغل ذلك الحدث ليرسم صورة حية للواقع الثورى الروسى مستفيدا من أحداث ثورة ١٩٠٥ التى ساهم الكاتب نفسه فيها بقسط كبير ٠

ولاشك أن جوركى قد اهتم بهذه الرواية اهتماما كبيرا فقد كتبها خمس مرات ، قبل أن يدفع الى المطبعة بالصياغة السادسة والأخيرة التى استقر عليها رأيه ٠

والرواية باختصار تحكى قصة المعركة بين العمال الروس والفلاحين الثوريين من جهة والرأسماليين والاقطاعيين تساندهم السلطة من جهة أخرى ٠ وظهر فى المعسكر الأول (معسكر الثورة) بافل فلاسوف والأم بيلاجيا نيلوفنا ، وناخودكا صديق بافل ونيكولاى فيسوتشيكوف وهم ممثلو العمال ، وريبين ممثل الفلاحين ، وساشا وناتاشا وصوفيا ونيقولاى ايفانوفيتش ممثلو المثقفين الثوريين ، ونلاحظ أن جوركى يهتم برسم شخصيات المعسكر الأول بينما لا تلقى شخصيات المعسكر الثانى نفس القدر من الاهتمام ٠ وهذا طبيعى ، فالهدف الأساسى للرواية هو تصوير الحركة الثورية والوعى الثورى لدى ممثلى هذه الحركة ، بينما ممثلو المعسكر الثانى لم يدخلوا فى النسيج الروائى الا لأن طبيعة الحدث تتطلب وجودهم بوصفهم القطب الثانى فى الصراع الناشب ٠

ومن أروع الشخصيات التى رسمها جوركى فى هذه الرواية بل ربما فى كل رواياته ـ شخصية الأم بيلاجيا نيلوفنا ،

تلك المرأة التى تظهر لنا فى بداية الرواية محطمة ذليلة تسير بخفة وكأنها تخشى أن تطأ شيئا ما ، منكمشة صامتـة المشاعر واللسان ؛ تخاف أن يسمع أحد صوتها أو يحس وجودها ٠٠ الخوف ٠٠٠ الخوف ٠٠٠ الخوف ٠٠! ذلك هو مايملأ كيان هذا المخلوق المسكين : الأم ! بل انه ــ الخوف ــ هو المخلوق الحى المتحرك الذى يشعرك بوجوده ويتحدث بأعلى صوته داخل المخلوق الثانى ــ الأم ــ لاغيا كيانه البشرى محولا اياه الى آلة ميكانيكية صامتة ! تلك هى شخصية الأم فى بداية الرواية ، وهى نتيجة طبيعية للحياة التى كانت تحياها مع زوج لم يجد مايصب عليه غضبه وحقده وسخطه على واقعه الا هذه المرأة زوجته ٠ فلم يكن يخلو يوم فى حياتها من لكمات الزوج الثمل تسحق فيها كل ماتبقى لها من عزة وانسانية وتدفع بها دفعا الى مخالب ذلك الوحش الضارى : الخوف ، الذى افترسها دون رحمة ٠

ونظل نتتبع « الأم » وهى تخلق خلقا جديدا ، وهى تتحرر شيئا فشيئا من ربق الخوف ، وهى تنغمس خطوة خطوة فى العمل الثورى الذى كان يقوم به ابنها بافل ورفاقه ، واذا هى فى النهاية بطل من هؤلاء الابطال المناضلين من أجل مجتمع جديد وغد مشرق ، واذا هى مخلوق آدمى يشعر ويتكلم ويتحرك بل ويناضل بعنف وبوعى وقد اكتسبت من خوفها السابق مناعة ضد أى خوف من أى شىء أو أى انسان ٠

مسرح جــوركى

« نحن نحيا فى عصر درامى الى حد بعيـــد ، دراقى بعمق لم يسبق له مثيل ، عصر الدراما الحادة لعمليات التدمير والتعمير » •

بهذه الكلمات عبر جوركى عن طبيعة تلك الفترة من التاريخ عندما كانت روسيا تولى ظهرها للقرن التاسع عشر وتخطو فوق عتبة القرن العشرين متطلعة الى ما يخبئه لها القدر فى طيـــــاته من أحداث •

بهذه الكلمات أيضا عبر جـوركى عن الدافع الأساسى الذى جعله يتجه الى المسرح فى بداية القرن العشرين • لقد أحس الكاتب بالصراع الناشب بين القوة الجديدة فى المجتمع ، المتعطشة الى مزيد من التقدم والحرية ، وبين تلك القوى المسيطرة على مواقع السلطة ، المتشبثة بالأوضاع القائمة تحارب فى عنف ضد أى محاولة لخلخلة البناء الاتوقراطى الشامخ • وكيف لا يحس جوركى بهذا الصراع وهو نفسه طرف فيه ، ناضل مع القوى الجديدة وسجن وحـــددت اقامته ووضع تحت رقابة بوليسية صارمة •

وبرغـم كل ذلك فقـــد اتجه بـكل قواه الى الـــكتابة •• « ان لهبا ما قد اجتاحنى ! أريد أن أعمل ، أريد بشدة ، وماذا يهمنى من الوزراء والنـــواب والأحـكام ؟ » وما أن ينهى كتابة مسرحية « البرجوازيين » حتى يسارع بالكتابة الى أصـدقائه : « لابد أن أكتب فى هذا الشتاء واحدة ثانية ، واذا لم تنجح فسأكتب عشرا غيرها وسأبلغ ما أريد ! ان هذا الشكل من الكتابة قد جذبنى اليـه بشدة » •

وقد كان له ما أراد ! ففى عام ١٩٠٢ ظهرت أولى مسرحياته : « البرجوازيون » وفى نفس العـــام ظهرت « فى الحضيض » أو

« فى القاع » ثم « سكان الفيلات » سنة ١٩٠٤ ثم « أبناء الشمس » سنة ١٩٠٦ ثم « الأعداء » و « البرابرة » وغيرها من مسرحيـــاته التى بلغت العشرين مسرحية ٠

ولقد وضع جوركى على خشبة المسرح كل أفكاره التى ضمنها مؤلفاته الأدبية الأخرى ، وحمل اليه ايمانه الذى لم يتزعزع بالانسان وعظمته ، مؤسسا بذلك لمسرح ثورى جديد تناول أهم القضايا التى كانت تشغل أذهان معاصريه ٠ وقد لقيت مسرحيات جوركى نجاحا لم يسبق له مثيل فعرضت مئات المرات على مسارح موســـكو وبطرسبرج وكييف وروستوه ، وأقبل على مشاهدتها جمهور كبير برغم العراقيل الضخمة التى وضعت أمام العروض ٠ وحدث أكثر من مرة أن تحولت العروض الى مظاهرات سياسية صاخبـــة ، من جانب جمهور النظارة الذى كان أحيانا يردد الهتافات المعـــادية للحكم المطلق ، المطالبة بالحرية ٠

وليس معنى ذلك أن مسرحيـــات جوركى كانت مسرحيات سياسية دعائية تزخر بالهاتفين ومرددى الشـــعارات ٠٠ على العكس ، لقد استطاع جوركى بفنه واقتداره أن يحرك على خشبة المسرح أشخاصا حقيقيين نابضين بالحيـــاة والحركة انتزعهم من صميم الواقع ووضع فيهم كل الصفات النفسية المميزة لأناس ذلك العصر بفئاتهم الاجتماعية المختلفة من عمال وتجار ومثقفين ، وكما سنرى فى هذه المسرحية كيف اســتطاع جوركى كذلك أن يجمع روسيا كلها فى بيت آل بيسيمينوف مجابها قطبى الصراع تحت سقف واحد مصورا بدقة لحظة دراسية فريدة عندما كانت روسيا تقف على مفترق الطرق تبحث عن درب يفضى الى آفاق أرحب من ذلك الحجر الذى زج بها فيه « البيسيمينوفيون » ٠

واذا كان مسرح تشيخوف مثلا يمتـــاز بالرقة والشفافية

والشاعرية ، وتطل علينا من خلف أستاره شخصيات حائرة ضائعة قلقة ، تفتش عن حل لأزمتها الحادة ولا تجده وســـط الضربات الساحقة التى كانت توجهها الى الاقطاع من الطبقة الجديدة الناشئة (طبقة التجار والمرابين والرأسماليين) ولا يبقى لهـؤلاء الأفراد المزقين الا الانتحار .(مسرحية ايفانوف وطائر البحر) أو التعلق بأمل ضعيف فى غد بعيد مشرق (بســتان الكرز) واذا كانت مسرحيات تشيخوف تدور حول الحياة التى تبــدو كأنها جامـدة تماما خالية من الصراع المعقد ، ولكنها فى الحقيقة تخفى تحت هذا الجمود ، وخلف تلك الهزائم بدون معارك والتسليم بلا مقاومة ، تخفى فى تيارها المتدفق بعيدا فى الأعماق ، وفى الأغوار السحيقة للنفس البشرية ، تخفى دراما حادة متوترة ٠٠ أقول اذا كان هذا أهم ما يميز مسرح تشيخوف الذى جذب ملايين القراء والمشاهدين الى أبطاله فتعاطفوا معهم وأحبوهم وأشـفقوا عليهم وتعـذبوا لعذابهم ، ٠٠٠ فان أهم ما يميز مسرح جوركى هو عملية تحديد المصير الفكرى لأبطاله ، عملية اعادة تقييم كل القيم الروحية ٠ وهذه العملية تجرى أيضا فى أعماق نفوس الأبطال ولكنها تظهر واضحة على خشبة المسرح ، وتبدو كنتيجة لما يحدث فى الخارج من تحولات اجتماعية وتاريخية ٠

ولذلك فاننا نلاحظ عند جوركى سيادة « مسرحية الشخصية » على « مسرحية الحدث » ولا شك أن هذا النوع من الكتابة المسرحية يتطلب قدرة عظيمة على النفاذ الى أعمق أعمـاق النفس البشرية ، وموهبة فذة على تطويع الشكل والأسلوب لأداء هذه المهمة الصعبـة ٠٠٠ وهنا يبرز أمامنا جوركى كفنان عملاق ، خبير بخبايا النفس البشرية ، عليم بمواطن الضعف البشرى ومكامن القوة ، متمكن من أدائه فى التحليل : اللغة ٠

واذا كان المفتاح الى مسرحيات جوركى هو ما أشرت اليــه (التحولات التى تجرى فى النفس البشرية نتيجة للتحولات التى تحدث فى الواقع الخارجى) فليس معنى ذلك أن جميع مسرحيات جوركى لم تخرج عن هذا الاطار أو لم تتناول موضوعا غير هــذا الموضوع ٠٠ فهناك أيضا الجانب الذى لا يقل أهمية عن هـــذا الجانب ، ألا وهو الروح الانسانية العميقة ، والحب الكبير للانسان ، والايمان الذى لا يتزعزع بعظمته وقدرته على اعادة صياغة الحياة وفق ارادته ، وكما ينبغى لها أن تكون ٠٠ هذه الانسانية التى تمجد فى الانسان قوته وعظمته ، هى أيضــا التى تمقت الرثاء الضعيف المتخاذل ٠ ان جوركى يعتبر أن الرثاء والشفقة والرأفة هى انسانية سلبية ، اذ لا يجب أن نرثى بل يجب أن نحترمه ونساعده ٠٠٠ وفى « البرجوازيين يقول على لسان تيترنف فى حوار له مع يلينا :

يلينـا : « انه مع ذلك يشعر بالألم » (تقصد الانسان) ٠

تيتريف : « طبعا »

يلينـا : « وعلينا أن نشفق عليه » ٠

تيتريف : « ليس دائما ٠٠ بل انه لا داعى مطلقا للاشفاق عليه ٠٠٠٠ من الأفضل أن نساعده » ٠

يلينـا : « تستطيع مساعدة الجميع ، كما أنك لن تستطيع مساعدته دون أن تشفق عليه » ٠

تيتريف : « سيدتى ! اننى أفكر هكذا : وليد الرغبـــة ٠٠ وفى الانسان رغبات جديرة بالاحترام ، كما أن فيــه أخرى غير جديرة بذلك ٠٠ فلتساعديه اذن على اشباع تلك الرغبات الجسدية الضرورية لكى يصبح سليما وقويا ، وكذلك تلك الرغبات التى تسمو به فوق مرتبة الحيوان ٠٠ » ٠

وهكذا يريد جوركى للانسان أن يسمو فوق مرتبة الشفقة ويتعداها الى مساعدة الانسان واحترامه ، وبطريقة أخرى يريد للانسان أن يعلو فوق الشعوب بالضعف فبهذه المشاعر القوية فقط يستطيع أن يغير ذلك الواقع الظالم ويعيد بناءه وفق رغبته ٠

وقد وضح هذا الاتجاه عند جوركى بشكل خاص فى مسرحيته الثانية « فى القاع » فقد وضع جوركى فى أساسها قضية الانسانية (الهيومانيزم) الحقيقية والانسانية المزيفة ٠ وفى شخصية لوكا الذى نزل الى القاع « فجأة حيث تحيا نماذج بشرية مختلفة يوحد بينها جميعا المصير المشترك ، جسد جوركى مفهومه عن الانسانية المزيفة ٠ فلوكا هذا يهدىء الجميع ويواسيهم واعدا اياهم بالخلاص من العذاب قائلا لكل منهم : « تمسك بالأمل ٠٠ لا تفقد الثقة » وهو لا يقول هذا لأنه يؤمن فعلا بأن شيئا ما سيتغير ، بل لأنه لا يتوقع أى تغيير ، ولا يؤمن بقدرة البشر على تغيير الحياة ، أو حتى بمقدرتهم على تحمل الحقيقة المرة واستيعابها فيغدق عليهم الأحلام والآمال ٠ انه يشبه طبيبا يؤمن بأنه لا علاج لأى مرض ويرى أن مهمته هى أن يخفى ذلك عن المرضى فيقول « لبست الحقيقة دائما تشفى الروح » ومع أنه فى الواقع يرثى للناس ويشفق عليهم فعلا ، الا أن شفقته هذه لا تجلب لهم الا الضرر ، وهى اما أن تعجل بالقضاء عليهم واما أن تلقى الفشل ٠ ويتصدى ساتين ـ ممثل الانسانية الحقيقية ـ لهذه الفلسفة موضحا زيفها عن لوكا : « لقدكان يكذب ٠٠ ولكن كذبه نابع من عطفه عليكم ٠٠ وهناك كذب مهدىء ، وكذب يطيب الخاطر ٠٠ اننى أعرف ما هو الكذب ٠٠ ومن بحاجة الى الكذب الا ضعاف النفوس ، ومن يعيشون على عصير غيرهم ٠٠ بعضهم بحاجة الى الكذب ليسانده ، وبعضهم ليتستر خلفه ٠٠ » ٠

كذلك كانت قضية الانسانية محور مسرحية « الأعداء » التى كانت خاتمة الفترة الأولى فى حياة جوركى المسرحية ٠ وفكرة

المسرحية تدور حول أن أحد العمال الداعين لم يستطع أن يتحمل اضطهاد صاحب المصنع فقتله ، الأمر الذى يعود بالضرر على القضية العامة ، ويحاول رفاقه أن يضعوا محله زميلا أقل منه سنا وبموافقته لكى يذهب الى السجن بدلا منه • وأمام هذا الموقف يضع جوركى شخصيات المسرحية ليكشف عن موقف كل فئة وموقعها الفكرى ، والى أى مدى تذهب انسانيتها ، وهل هى قادرة أم غير قادرة على التضحية بالنفس •

فى عام ١٩٠٨ ، وبعد اندحار الثورة الروسية الاولى ، نجد مسرح جوركى يتخذ طابعا جديدا ، طابع الميلودراما •• لم يكن جوركى قبل ذلك يأبه كثيرا أن تكون لمسرحياته تلك الحبكة الروائية المحكمة وذلك التغير السريع والفجائى فى مصير أبطاله • وكان يهتم أساسا بالموقف الفكرى والأخلاقى لجبهتين متصارعتين • غير أن مسرحيات الفترة الثانية « الأواخر » و « فاسا جيليزنوفا » و « العملة المزيفة » و « العجوز » تتميز بسمات الميلودراما الواضحة من الحركة المسرحية السريعة الى تضاد الأبطال الايجابيين والسلبيين بوضوح شديد ، الى الاتجاه التعليمى الأخلاقى المميز • غير أن جوركى لم يتخل عن التقاليد الواقعية تماما ، بل انه ـ فى الحقيقة ـ مزج بين مميزات الميلودراما (خالية من عيوبها التقليدية وهى الهروب من الواقع ومشاكله) وبين ميزات المسرحية الواقعية من تحليل نفسى عميق وعرض دقيق للتطور الفكرى والعملى للأبطال ، الى جانب الاتجاه الفكرى الذى لم يتخل عنه جوركى ألا وهو كشف أخلاقيات المجتمع البرجوازى الروسى ، وضرب الاتجاه النكوصى الذى ساد فى فترة النكسة ، والذى كان يدعو الى تطهير الروح لا عن طريق النضال وانما عن طريق الشفقة ••

وهناك خط ثالث فى مسرح جوركى ـ وهو لا يبعد كثيرا عن الخطين الأولين ، بل ربما هو متفرع منهما ـ ونقصد به تصوير موقف المثقفين ومصيرهم ، وهو موضوع اهتم به جوركى كثيرا وطرقه فى أكثر من مسرحية : فى « سكان الفيلات » و « أبناء الشمس » و « غريبو الأطوار » ومسرحية رابعة بلا عنوان لم يتمها جوركى . ففى المسرحية الأولى صور الكاتب تلك الفئة من المثقفين الروس التى حصرت نفسها فى نطاق ضيق من مشاعرها الذاتية واهتماماتها الخاصة ونسيت صلتها بالشعب ولم يعد يربطها بحياته رابط . أما فى المسرحيات الثلاث الأخرى فأبطالها عالم وكاتب ومهندس ، لا ينتمون الى العالم البرجوازى الذى انتمى اليه « سكان الفيلات » ، وانما هم قوم موهوبون مخلصون متفانون فى حب عملهم ، ولهذا السبب بالذات يعتبرهم البرجوازيون « غريبى الأطوار » ! ويتفكهون عليهم . ولكن المأساة فى مصيرهم أنهم لا يستطيعون النضال من أجل تحقيق أفكارهم وأحلامهم . لقد اختاروا موقفا متعاليا « فوق المعركة » وخلصوا الى التفكير المجرد فى الانسان دونما ربط بين هذا الانسان المجرد وبين الانسان المحيط بهم الذى يمنحهم امكانية الابداع والخلق وقد أدى هذا الموقف الى لا مبالاة بمصير هذا الانسان بل أحيانا الى القسوة عليه .

لقد كان هذا الاصرار من جانب جوركى على حث المثقفين الى اتخاذ موقف واضح فى المعركة الدائرة بين الشعب ومضطهديه دليلا قويا على ايمان جوركى بالدور الخطير الذى يلعبه المثقفون فى الحياة الاجتماعية بعامة وفى فترات التحول بخاصة .

ومضت فترة طويلة منذ قيام ثورة أكتوبر وجوركى لم يقدم للمسرح شيئا جديدا حتى جاء عام ١٩٣١ حاملا معه مسرحية جديدة لجوركى أثارت كثيرا من الجدل حولها . وكانت هذه مسرحية

« يجور بوليتشوف وآخرون » • كان مثار الجدل شخصية يجـــور بوليتشوف نفسه التاجر الرأسمالى الذى وضعه جوركى فى مركز الرواية مع أن الأحداث تجرى فى عام ١٩١٧ عـــام ثورة أكتوبر الاشتراكية ، وكان يبدو عطف الكاتب الواضح عليه • وقد ذهب فريق من النقاد الى أن «جوركى» ابتعد عن مواقفه السابقة ومناصرته للثوار ، بينما راح البعض الآخر « يدافع » عن جوركى موضحا أنه لا يتعاطف مع يجور بوليتشوف ، بل يصوره كوحش من الوحوش الرأسمالية ! بينما الحقيقـــة عكس ذلك ، فجـــوركى يعطف على بوليتشوف ، غير أن هذه الشخصية الفذة المعقدة المفعمة بالدراما لا يمكن أن تتناول بهذه السطحية وهذه النظرة الأحادية الجانب • ان مأساة بوليتشوف هى فى صراعه مع ما رسخ فى ذهنه من أفكار وتصورات عن العالم البرجوازى لا يمكن أن يتخطاها الى ما بعدها • وبوليتشوف يحس أنه وهو الذى خرج من صفوف الجماهير العاملة قد عاش حياته فى « شارع غريب » وليس لديه القدرة بعد على العودة الى « شارعه » ولا على الاستمرار فى حياته فى الشـــارع الغريب • لم يعد فى وسعه غير الانتقام من هذا الشارع ، فنراه ينزع عنه أقنعته ويعريه ويساعد ابنته على تلمس الطريق الصحيح • أن «جوركى» هنا يعود الى منطلقه الأول وهو كما ذكرنا ـ المفتاح الى فهم مسرحياته ـ الى عملية تقييم كل القيم الروحية ، تلك العملية التى تدور بعيدا فى أعماق النفس البشرية تحت تأثير التحولات الجارية فى العالم الخارجى •

هذه المسرحية

تعد مسرحية « البرجوازيين » أول عمـــل قدمه جوركى الى المسرح • وقد بدأت فكرتها تدور فى رأسه منذ أوائل سنة ١٩٠٠ ،

ولكنه لم يستطع اتمامها بسرعة ، وفي عام ١٩٠١ عنـــدما كان جوركى يكتب الفصل الثالث ألقى القبض عليه وسجن ، ثم خرج بعـــد ذلك وحددت اقامته في مسقط رأســـه « (نيجنى نوفجرد » حيث واصل الكتابة فأنهى المسرحية فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٠١ ووضع لها عنوانا : « البرجوازيون » مشاهد فى منزل آل بيسيمينوف .. اسكتش درامى فى أربعة فصول « ثم عدل عن ذلك وأصبـــح عنوانها « البرجوازيون » فقط .

ومن الطريف أن جوركى الذى كان فى تلك السنوات مشهورا ومعترفا به كفنان كبير عانى كثيرا من القلق والاضطراب وهو ينتظر رأى صديقه الفنان نيميروفيتش ـ دانشينكو فى المسرحية ، ربما لأن هذه كانت أول محاولة له فى ميدان المسرح ، أو ربما هكذا طبيعة الفنانين ! فنراه يكتب رسالة صبيانية مرحة الى صديقه النـــاشر بياتنيتسكى يقول فيها « لقد اجتاز صديقك أليوشا «(١) عن جدارة التجربة التمهيدية لوظيفة كاتب مسرحى ! (خذ حذرك يا وليـام شكسبير !) أقول عن جدارة ولا أخجل من ذلك لأن الممتحن فوضنى أن أقول أكثر من هذا . لقد أقسم لى نيميروفيتش دانشينكو مؤكدا أن المسرحية ناجحة ، وأنى قادر على العمل فى هذا المجال ، وأنا أصدقه . أتدرى ، لقد انتظرته ثلاثة أيام وكنت أشعر أننى طفل ، كنت مضطربا وخائفا وعموما كنت أتصرف بحماقة . وعندما بدأت أقرأ له المسرحية بذلت مجهودا خارقا لكى أخفى عنـــه حالتى المضحكة ، فقد كان صوتى يتهدج ويداى ترتعشان ، ولكن الأمر تم على ما يرام ! » .

وقد بدأ المسرح الفنى فى موسكو فى الاعداد لعرض المسرحية فى نهـــاية عـــام ١٩٠١ تحت اشراف المخرج الروسى العبقرى

---

(١) اليوشا تدليل لاسم اليكسى وهو اسم جوركى ـ (المترجم)

ستانسلافسكى ، ولكن العرض لم يتم الا فى مارس ١٩٠٢ وفى مدينة بطرسبرج (لينينجراد الآن) وبعد أن حصلت المسرحية على موافقة الرقابة القيصرية بعد استبعاد كثير من عبارات نيل ، الشخصية الرئيسية فى الرواية وأقل المتحدثين فيها • وقد ذكر ستانسلافسكى نفسه أنه عندما أجريت البروفة العامة للمسرحية جاء لمشاهدتها « مدينة بطرسبرج » « الحاكمة » بأسرها ••• الأمراء الكبار والوزراء وحكام من مختلف الرتب ، ولجنة الرقابة كلها وممثلو سلطات البوليس وزوجاتهم وعائلاتهم ، وأقيمت حراسة بوليسية مشددة داخل المسرح وخارجه ، وسارت دوريات الخيالة فى الميدان المواجه للمسرح وكان من الممكن للمرء أن يظن أن الاستعداد لم يكن يجرى لبروفة عامة وانما لمعركة عامة •

وامعانا فى عرقلة انتشار المسرحية لجأت السلطات القيصرية الى اتخاذ قرار غريب ، فقد منعت عرض المسرحية على أى مسرح الا اذا حصل هذا المسرح على تصريح خاص بعد تزكية من جمعية المسرح الروسى أو من المحافظ المحلى •

وكان هذا يعنى أن أى عرض للمسرحية على أى مسرح كان يتطلب تصريحا جديدا وكأن المسرحية جديدة تقدم للرقابة لأول مرة •

فما الذى رأته السلطات القيصرية فى المسرحية يستوجب كل هذه التدابير المشددة ؟ •

لا شك أن اسم جوركى نفسه لعب دورا كبيرا فى هذا الأمر • صحيح ان المسرحية تقدم نماذج لأبطال جدد قادرين على تغيير الواقع ، مؤمنين بحقهم فى هذا التغيير وقدرتهم عليه ، وصحيح ان المسرحية تقدم أيضا نماذج لأبطال من المجتمع البرجوازى ، غير

راغبين في هذا التغيير ، بل ساعين الى الوقوف ضده بكل وسيلة ولكن الكاتب يسحب البساط من تحت أقدامهم مؤكدا انتصار أبطال المعسكر الآخر (نيل ويوليا ورفاقهم) ، كل هذا صحيح . ولكن المسرحية فى ذاتها لم تكن بهذه الدرجة من الخطورة ... انما خطورتها على السلطات القيصرية كانت تكمن فى شيئين : أولا : انها مقرونة باسم الكاتب الشهير بـ « نذير العاصفة الثورية » .. وثانيا : انها كانت بداية لاتجاه جديد فى المسرح لو أتيحت له الفرصة فسيحول المسرح الى أداة قوية فى يد قوى الثورة ، فقد كان المسرح فى تلك الأيام يلقى اقبالا شديدا يحظى بشعبية واسعة .

ليست هذه المسرحية صراعا بين جيلين ، جيل الآباء (بيسيمينوف وزوجته) وجيل الأبناء (بيوتر وتاتيانا) .. وان بدا للقارىء للوهلة الاولى أن الصراع الأساسى فى المسرحية هو فعلا بين هذين الجيلين ، فيوتر وتاتيانا لا يكفان عن الشكوى من تدخل أبيهما فى شئونهما ، بل انهما يشتبكان معه مباشرة فى صراع فكرى حول مفهوم الحياة التى يريدانها ، وتلك التى يريدها لهما الأب .

تاتيانا : .. عندما تتحدث يا أبى أشعر أنك محق .. نعم أنك محق .. صدقنى ، أننى أحس ذلك جيدا .. ولكن الحقيقة التى تقولها غريبة علينا .. عليه وعلى .. هل تفهم ؟ ان لدينا حقيقة خاصة بنا .. مهلا ... لا تغضب يا أبى ... هناك حقيقتان يا أبى .

بيسيمينوف : (ينتفض واقفا) انك تكذبين .. هناك حقيقة واحدة .. وهى الحقيقة التى أقولها .. ما هى حقيقتكم ؟ أين هى ؟ أرنيها ! .

بيوتر : « لا تصرخ يا أبى ! اننى أقول انك على حق نعم ؟ ولكن حقيقتك ضيقة علينا .. لقد كبرنا فضاقت كما يضيق الثوب .. وكل ما عشت به يا أبى ، كل نظام حياتك لم يعد صالحا لنا .. » .

(الفصل الثانى)

ولكن سرعان ما يتمخض هذا الصراع الثانوى عن حقيقة مذهلة يفضى بها الينا تيتريف .. فان بيوتر لن يخرج كثيرا فى حقيقته عن أبيه و « لن يذهب بعيدا عنك .. لقد صعد مؤقتا الى أعلى .. ولكنه سيهبط ، وعندما تموت سيغير قليلا هذه الحظيرة ويعيد ترتيب الأثاث فيها . ويعيش مثلك فى هدوء وراحة وحكمة » .

(تيتريف ــ الفصل الرابع)

نعم ، ليست القضية قضية صراع بين جيلين .. انها صراع بين معسكرين ، بين فلسفتين ، بين بنائين روحيين مختلفين ! وهى فوق كل ذلك ــ بل قبل كل ذلك ــ محاكمة أخلاقية قاضيها الزمن وطرفا الصراع فيها آل بيسيمينوف وأبناؤه من جهة ، ونيل وبوليا وأصدقاؤهما من جهة أخرى . وبينما يمثل بيسيمينوف العجوز نظاما اجتماعيا قاتما (يظهر حتى فى ديكور المسرح) ويمثل ابنه بيوتر امتدادا له ، يظهر لنا نيل ممثلا لفكر آخر على طرف النقيض مع بيسيمينوف ، ويدور بين الطرفين صراع يستمر من أول دقيقة حتى ينتهى بخروج نيل ويوليا من منزل آل بيسيمينوف .

ولكن الملاحظ أن نيل ويوليا ــ وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى المسرحية ــ لا يظهران كثيرا على المسرح ، وحتى كلامهما قليل . وقد أشار الى ذلك تشيخوف فى رسالة له الى جوركى فذكر أن

نيل قليل الظهور فى المسرحية وأن دوره يجب أن يكون أكبر من ذلك وأطول • وحتى جوركى نفسه يعترف بأنه قليل الكلام وأنه لا يمكنه أن يفصح أكثر من ذلك ! وهذه اشارة واضحة الى الظروف المفروضة على البطل وعلى الكاتب معا • وكان جوركى على حق ، فحتى تلك الكلمات القليلة التى تفوه بها نيـــل حذفت الرقابة معظمها • ومع ذلك فكل مرة يظهر فيها نيل على المسرح يثير القلق والاضطراب فى مملـــكة بيسيمينوف البرجوازية ، بيسيمينوف الموقن تماما بأن كل الشرور والمصائب التى تنزل به انما بسبب نيـــل •

وفى البداية يظهر بيسيمينوف وهـو مؤمن بأن « حقيقته هى الحقيقة الوحيدة الصحيحة والممكنة فى هذا العالم ، وأن السـيد الوحيد والقاضى الأوحد هو بيسيمينوف ولا أحـــد غيره ويدمغ الجميع اما بالحمق واما بالزندقة أو العربدة أو العهر •• أما ابنــه بيوتر فقد تنصل من تبعاته ازاء المجتمع بعد أن كان مواطنــا « لمدة نصف ساعة » آثر بعدها أن يغلق على نفسه باب الحرية الفردية الأنانية ويصيح بأعلى صوته : « المجتمع ؟ هذا هو ما أمقته ••• اننى فى حل من الخضوع لمتطلبات المجتمع •• أنا فرد •• فرد حر •• ! » وهو أيضا يتهم نيل ورفاقه بالخشونة والقســوة وعدم الاحترام للحرية الفردية ••

ولكن الأحداث تتوالى ، وشيئا فشيئا يتحول فريق بيسيمينوف الى موقف الدفاع ، وتتقدم جبهة نيل لتحاصر الفريق المدافع متخذة وضع الهجوم • وهكذا فان ذروة المسرحية ليست فى الفصـــل الثالث عندما تحاول تاتيانا الانتحار (تلك ذروة مأســاة تاتيانا الشخصية) وانما ذروة المسرحية فى ذلك المشهد الســابق لخروج نيل ويوليا من بيت آل بيسيمينوف ، ذلك المشهد الذى يستدعى

فيه نيل ويوليا العجوز بيسيمينوف لتجرى محاكمة فعلية سببها طرد بيسيمينوف لبيرتشخين ، ولكنها ترمز الى أبعـــد من ذلك بكثير ، فنحن لم ننس بعد كلمات نيل النارية التى ألقاها فى وجه بيسيمينوف فى الفصل الثانى : « السيد هو من يكدح .. نعم .. السيد هو من يكدح .. تذكر هذا ! » .

ولا يكتفى جوركى بالمحاكمة التى نصبهـــا نيـل لبيسيمينوف وابنه ، ولكنه أيضا يشرك شخصيات أخرى فى اصدار الحـــكم بالادانة . فتيتريف مثلا - الذى شبهه نيل بالفـــأس - تيتريف « الدليل المادى على الجريمة » يصدر حكمه على بيسيمينوف وكل عاله ويصيح فى وجهه : « صدقت ، أنت فى بيتك ، هو بناؤك هذا ، ولهذا فلا مكان لى أعيش فيه أيها البرجوازى ! » ويقول لنيل : « انتى أقول لك ان الحياة لم تصنع حسب مقاس الناس الكرام .. لقد ضيقهـــا البرجوازيون وقصروها .. وهـــأنذا دليل مادى على أن الانسان لا مكان له فى الحياة ، وليس لديه ما يعيش به أو من أجله ! » وهو أيضا يقول لأبناء بيسيمينوف : « لن يأتى اليكم أحد ... فليس لديكم ما يعطى » .

أما بيرتشيخين ، بائع الطيور الطيب فيقولهـــا لهم « دون مجاملة » : « الجو فى الحانة مرح .. الجو هناك أكثر بساطة ، أما هنا فيكاد الانسان يموت من الكآبة .. انكم لا تفعلون شيئا .. وليست لديكم أى اهتمامات .. » .

وهكذا تتم المحاكمة ، وتتحدد المواقع التى يحتلهـــا كل فريق ، فيخرج نيل وبوليا من بيت آل بيســيمينوف ليشقا طريقهمـــا بسواعدهما ووفق رغبتهما ، ولا يبقى من بناء بيسيمينوف الشامخ الا أنقاض مبعثرة : بيسيمينوف نفســـه الذى تحطم البناء على رأسه ، وتاتيانا الخاوية الممزقة ، وبيوتر المعتصم بأنانيتــه ، الـــذى

سيواصل فيما بعد السير فى الطريق المسدود الذى كان أبوه يسير فيه ! وتطفأ أنوار المسرح .

وعندما تسدل الستارة الأخيرة نحس أن المسرحية لم تنته : فالقضية لم تحسم بعد ، وان كانت المواقف تحددت تماما ولم يبق الا أن تبدأ المعركة الفعلية بين قطبى الصراع ..

ولا عجب .. « فالبرجوازيون » ليست سوى مقدمة موسيقية لسيمفونية عاصفة ستتوالى حركتها فى ايقاع متقن يجمع بين اللحن الهادر المجلجل ، والنغمة الهادئة الحالمة ، سيمفونية بشرية فريدة أبدعتها عبقرية فنان خالد .. أليكسى مكسيموفيتش « المر » .

أبو بكر يوسف حسين

البرجوازيون

شخصيات المسرحية

بيسيمينوف فاسيلى فاسيلييف : ٥٨ عاما ، رئيس ورشة طلاء ، من البرجوازيين الموسرين

أكولينا ايفانوفنا : زوجته ٥٢ عاما ·

بيوتر : طالب سابقا ، ٢٦ عاما

تاتيانا : مدرسة ٢٨ عاما — أولاده

نيــل : ميكانيكى ٢٦ عاما · ابن بيسيمينوف بالتبنى

بيرتشيخين : على صلة قرابة بعيدة ببيسيمينوف ، تاجر طيور زينة ٥٠ عاما ·

بوليا : ابنته ، خياطة تعمل لدى العائلات حسب الطلب ، ٢١ عاما

يلينا نيكولايفنا كريفتسوفا : أرملة مدير السجن ، ٢٤ عاما تقطن فى منزل آل بيسيمينوف ·

تيتريف : مرتل فى الكنيسة

شيشكين : طــالب — يعولهما بيسيمينوف

تسفيتايفا : مدرسة ، صديقة تاتيانا ، ٢٥ عاما ·

ستيبانيدا : طاهيــة ·

صبى نقاش

طبيب

مسرح الأحداث : مدينة ريفية صغيرة

الوضع على المسرح

غرفة فى منزل من منازل الطبقة البرجوازية المتوسطة ، يعزل زاويتها اليمنى حاجزان سميكان يلتقيان بزاوية قائمة ويحجبان خلفية الغرفة مكونين داخل الغرفة الكبيرة غرفة صغيرة بابها على هيئة قوس خشبى مشدود عليه حبل تتدلى منه ستارة فاقعة الالوان . فى الحائط الخلفى للغرفة الكبيرة باب يؤدى الى المدخل والى الجزء - الآخر من المنزل حيث يقع المطبخ وغرف من يعولهم بيسيمينوف وعلى يسار الباب صوان ضخم ثقيل للفضيات وفى الزاوية صندوق على اليمين به ساعة حائط عتيقة فى علبة يلوح بندولها المستدير كالقمر وهو يتحرك من خلال زجاج العلبة ، بينما يسمع صوت حركته الرتيبة : تك تاك ، تك تاك عندما يسود الصمت الغرفة . فى الحائط الايسر بابان : احدهما يؤدى الى غرفة بيسيمينوف وزوجته والآخر الى غرفة بيوتر ، وبين البابين مدفأة غطيت جدرانها بالبلاط القيشانى - وبجوار المدفأة كنبة عتيقة مغطاة بالمشمع أمامها منضدة كبيرة لتناول الطعام والشاى . وبجوار الجدران رصت كراسى رخيصة من الطراز الخشبى الملتوى بطريقة منظمة الى حد يبعث على الغثيان . أما من الجهة اليسرى ، وعند طرف خشبة المسرح فيوجد صوان زجاجى به علب مختلفة الالوان وبيض عيد الفصح الملون وشمعدانان من البرونز وملاعق للاكل والشاى وعدة أكواب فضية صغيرة وكؤوس . وفى الغرفة الصغيرة ، خلف القوس وعند الحائط المواجه للنظارة بيانو ورف صغير عليه نوت موسيقية وأصيص به زهور الفيلودندرون فى الركن . أما الحائط الايمن ففيه نافذتان عند قاعدتهما رصت أصص الزهور ، وتحت النافذتين أريكة بجوارها منضدة صغيرة قرب الحائط الامامى .

الفصل الأول

الوقت مساء حوالى الخامسة . يلوح فى النوافذ غسق الخريف . الغرفة الكبيرة تكاد تكون مظلمة . تاتيانا تقرأ فى كتاب وهى مضطجعة على الاريكة . بوليا تجلس الى المنضدة مشغولة بالحياكة .

تاتيانا : (تقرأ) « وبرز القمر · وكان من الغريب أن ترى هذا القمر الصغير الحزين يغمر الأرض بكل هذا الضوء الأزرق الفضى الحنون » (تلقى بالكتاب على ركبتيها) الغرفة مظلمة ·

بوليا : هل أشعل المصباح ؟

تاتيانا : لا داعى · لقد تعبت من القراءة ·

بوليا : ما أجمل هذا الكلام ! انه بسيط·· محزن ·· مثير للأشجان.

(صمت)

كم أود أن أعرف النهاية ! هل سيتزوجان أم لا ؟

تاتيانا : (بأسى) ليس هذا هو المهم ··

بوليا : لو كنت مكانها ما أحببته ·· كلا ·

تاتيانا : لماذا ؟

بوليا : انه ممل ·· لا يكف عن الشكوى ، وليس لديه ثقة بنفسه · ان الرجل يجب أن يعرف دوره فى الحياة ··

تاتيانا : (بصوت منخفض) وهل يعرف نيل ؟

بوليا : (بثقة) انه يعرف .

تاتيانا : وماذا يعرف ؟

بوليا : لا أستطيع أن أوضح لك .. الأمر هكذا ببساطة كما يقول. انه سيقف بالمرصاد للناس الأشرار والجشعين والخبثـــاء .. فهو يكرههم .

تاتيانا : من هو الشرير ، ومن هو الطبيب ؟

بوليا : انه يعرف !

(تصمت تاتيانا وتحول بصرها عن بوليا . بوليـــا تتناول الكتاب من على ركبتها وهى تبتسم) ما أجمل هذا الـكلام ! كم هى جذابة بسيطة وصريحة ورقيقة القلب .. عندما أنظر الى هذه المرأة وقد بدت فى هذه الصورة الرقيقة ، أبدو لنفسى أحسن مما أنا عليه .

تاتيانا : يا لك من ساذجة .. انك تضحكيننى يابولينا .. ان هذه القصة كلها تثير ضيقى . فهذه الفتاة لم توجـــد ، وكـذلك الضيعة والنهر والقمر كل ذلك ليس له وجود .. مجرد خيال ودائما تصور الحياة لا كما هى عليه فى الواقع لا كما هى عليه حياتنا .. حياتك مثلا ..

بوليا : انهم يكتبون عما يثير الاهتمام .. أما حياتنا ، فما هو المثير للاهتمام فيها ؟

تاتيانا : (بضيق ، ودون أن تصغى اليها) يبدو لى دائما أن مؤلفى الكتب لايحبوننى .. ودائما يختلفون معى كأنهم يقولون لى هذا أحسن مما تظنين . أما هذا فأسوأ ..

بوليا : أما أنا فأعتقد أن جميع الـكتاب طيبون لابد .. كم أود أن أرى الـكاتب

تاتيانا : (كما لو كانت تحدث نفسها) انهم يصورون الأشياء السيئة والمحزنة لا كما أراها أنا ·· بل بطريقة خاصة مبالغ فيها ·· وبنغمة تراجيدية · أما الأشياء الطيبة فيخترعونها ·· لا أحد يبوح بحبه كما يصورون والحياة ليست أبدا تراجيدية ·· بل هى تجرى بهدوء ورتابة ·· كنهر كبير عكر · وعندما تحدق فى النهر وهو يجرى فان عينيك تكلان ويصيبك الملل ، ويتبلد ذهنك ، بل انك لا تشعر برغبة فى التفكير ··· لماذا يجرى النهر ؟

بوليا : (مستغرقة فى التفكير وهى تحدق أمامها) أما أنا فأود أن أرى الكاتب · عندما كنت تقرأين كنت أحيانا أفكر كيف يبدو ؟ أهو شاب ؟ أم عجوز ؟ أهو أسود الشعر ؟

تاتيانا : من ؟

بوليا : هذا الكاتب ·

تاتيانا : لقد مات ·

بوليا : آه ·· يا للأسف ·· منذ زمن ؟ أكان شابا ؟

تاتيانا : كان فى وسط العمر ·· وكان يشرب الفودكا ·

بوليا : يا للمسكين ! !

(صمت)

لماذا يقبل على الشراب أمثال هؤلاء الناس الأذكياء ؟ أنظرى الى هذا المرتل الذى يسكن عندنا ·· انه ذكى ·· ولكنه يشرب ·· لماذا ؟··

تاتيانا : لأن الحياة مملة ··

بيوتر : (يخرج من غرفته ويبدو عليه النعـــاس) يا للظلام ·· من يجلس هنا ؟

بوليا : أنا ·· وتاتيانا فاسيلييفنا ·

بيوتر : ولمـاذا لا تشعلون المصباح ؟

بوليا : اننا نستمتع بالغسق ·

بيوتر : ان رائحة زيت الخشب تتسرب الى غرفتى من غرفة والدى·· وربما كان هذا هو السبب فى أننى رأيت نفسى فى الحـــلم أسبح فى أحد الأنهار ·· كانت مياهه ثقيلة كالقـــار ·· والسباحة صعبة ، ولا أدرى الى أين أسبح ، ولا أرى شاطئـا ·· وكانت تقابلنى بعض قطع الخشب ، ولـكني عندما كنت أقبض عليها كانت تتفتت الى ذرات ·· فقد كانت عفنة ونخرة ·· هراء ·· (يصفر وهو يخطو فى الغرفة) لقد حان الوقت لتناول الشاى ·

بوليا : (تشعل المصباح) سأذهب لأعده · (تنصرف)

بيوتر : فى المساء يبدو الجو فى منزلنا غريبا ·· كئيبا ومقبضا ·· فكل هذه الأشياء العتيقة تبدو كأنها كبرت وأصبحت أضخـم وأثقل فتطرد الهواء وتعوق التنفس (يدق بيده على الدولاب) ان هذا الدولاب رابض فى هذا المكان منذ ثمانية عشر عاما ·· ثمانية عشر عاما ·· يقولون ان الحيـــاة تتحرك بسرعة الى الأمام ، ولكنها لم تزحزح هذا الدولاب شبرا واحدا ·· كم اصطدمت رأسى بخشبه الصلب عندما كنت صغيرا ·· وهو لأن يضايقنى لسبب لا أفهمه يا له من شىء أحمق · انه ليس دولابا بل رمز ما ·· فليخطفه الشيطان ··

تاتيانا : كم أنت ممل يا بيوتر ·· ان نظام حياتك لا يجلب لك الا الضرر ··

بيوتر : كيف ··؟

تاتيانا : انك لا تذهب الى أى مكان ·· بل تقضى أمسياتك كلهـا لدى لينا فى الطابق العلوى ·· وهذا يثير قلق والديك ·

(بيوتر لا يرد ·· يسير وهو يصفر)

أتدرى ، لقد أصبحت أشعر بالتعب الشديد ·· ففى المدرسة يرهقنى الضجيج والفوضى ·· وهنا يرهقنى الهدوء والنظام مع أن الجو أصبح أكثر مرحا منذ أن حلت « لينا » · نعم اننى أشعر بالتعب الشديد والعيد مازال بعيدا ·· نوفمبر ·· ديسمبر ··

(تدق الساعة ست دقات)

بيسيمينوف : (مطلا برأسه من باب غرفته) تضيعـان الوقت فى الصفير ·· نراك لم تكتب الالتماس بعد ··؟

بيوتر : كتبته ·· كتبته ··

بيسيمينوف : ضغطت على نفسك حتى تجد وقتا لـكتابتـه ·· آه ·· آه ··

(يختفى)

تاتيانا : ما هذا الالتماس ؟

بيوتر : التماس الى التاجر سيزوف لدفع سبعة عشر روبلا وخمسين كابيكا مقابل طلاء سقف مخزنه ··

أكولينا ايفانوفنا : (تدخل وفى يدها مصباح) المطر فى الخـارج يسقط من جديد (تقترب من الدولاب وتخرج منه الآنية وتعد

المائدة) الجو هنا بارد ·· أشعلنا المدفأة ولكنه بارد ·· فالمنزل عتيق تنفذ منه الريح ·· أوه ، أوه ان أباكم غاضب مرة أخرى يا أولاد ·· يقول ان ظهره يؤلمه ·· انه أيضا عجوز ومع ذلك فلا زال يعانى من الاخفاق والفوضى ·· نفقات كثيرة وهموم لا تنتهى ··

تاتيانا : (الى أخيها) هل كنت عند لينا بالأمس ؟

بيوتر : نعم ··

تاتيانا : وهل كان الجو مرحاً ؟

بيوتر : كالعادة ·· تناولنا الشاى وغنينا ·· ودارت المناقشات

تاتيانا : بين من ؟

بيوتر : بينى وبين نيل وشيشكين ·

تاتيانا : كالعادة ··

بيوتر : نعم ·· أبدى نيل اعجابه بعملية الحياة ·· كم يستفزنى بدعوته الى التفاؤل وحب الحياة ·· يا له من أمر مضحك ·· عندما تصغى اليه تبدأ تتخيل تلك الحياة التى لا يعلم أحد عنها شيئا ، كأنها تلك العمة الامريكية التى ستهبط عليك قريبا جدا فتغمرك بشتى الخيرات ·· أما شيشكين فدار وعظه حول فوائد اللبن ومضار التبغ ، ثم اتهمنى بأننى أفكر بطريقة بورجوازية ·

تاتيانا : نفس الكلام ··

بيوتر : كالعادة ··

تاتيانا : ولينا ·· هل تعجبك كثيرا ؟

بيوتر : لا بأس ·· انها لطيفة ·· مرحة ·

اكولينا ايفانوفنا : انها لعوب •• حياتها فارغة •• وكل يوم لديها ضيوف وشاى •• وسكر •• ورقص وغنـــاء ومع ذلك فلا تشترى حوضا للغسيل ، بل تغتســـل فى الطســت ثم تلقى بالمـاء على الأرض •• ان المنزل يتآكل •

تاتيانا : أما أنا فقد ذهبت بالأمس الى النادى •• فى حفــل عائلى وعندما رآنى سوموف عضو مجلس المدينــــة والمشرف على مدرستنا أومأ لى برأسه ايماءة لا تكاد تلحظ • نعم •• ولكن عندما دخلت الى القاعة عشيقة القاضى رومانوف أسرع اليها وانحنى لها كما لو كانت زوجة المحافظ •• ثم قبل يدها ••

اكولينا ايفانوفنا : يا له من داعر •• أهذا بدلا من أن يتأبط ذراع فتاة شريفة ويهتم بها ويسير معهـــا باحترام أمام الجميع فى القاعة ••

تاتيانا : (الى أخيها) تخيل هذا ؟ المدرسة فى نظر هؤلاء النـاس أقل احتراما من امرأة داعرة ، ملطخة بالأصباغ ••

بيوتر : لا تلقى بالا الى هذه الأمور الحقيرة •• يجب أن تكونى أرفع من ذلك •• أما هى ، فمع أنها داعرة آلا أنهـــا لا تستخدم الأصباغ ••

اكولينا ايفانوفنا : وكيف عرفت • هل لعقت خديها ؟ أنظروا •• أخته أهينت وهو يدافع عمن أهانها !

بيوتر : كفاك يا أماه ••

تاتيانا : كلا •• لا يمكن أن تقول شيئا أمام أمنا ••

(تسمع خلف الباب فى المدخل خطوات ثقيلة).

اكولينا ايفانوفنا : كفى زمجرة •• أليس من الأفضل يا بيوتر أن

تأتى بالسماور(١) بدلا من زواجك ومجيئك هنا• آن ستيبانيدا تشكو من أنه ثقيل •

ستيبانيدا : (تدخل بالسماور* وتضعه على الأرض بجوار المائدة ثم تمد قامتهـا وهى تلهث وتخـاطب ربة البيت) افعلوا ماتشاءون ولـكنى أكرر القول •• ليس بى قوة لحمل هـذا الشيطان •• ان قدمى تتمزقان ••

أكولينا ايفانوفنا : لعلك تريدين أن تستأجرى شخصا خاصا لهذا العمل ؟••

ستيبانيدا : كما تشائين •• فليحمله المـرتل •• ماذا فى ذلك ؟•• يا بيوتر فاسيليبيفتشى ، ضع السماور على المـائدة •• أقسم انى لا أقوى على ذلك ••

بيوتر : حسنا •• هوب !

ستيبانيدا : أشكرك (تنصرف)

اكولينا ايفانوفنا : فعلا يا بيتيا •• قل لهذا المرتل أن يتولى حمل السماور •• نعم ••

تاتيانا : (تتنهد بسأم) أوه •• يا الهى ••

بيوتر : ألا أقول له أيضا أن يجلب المـاء ويمسح الأرضية وينظف المدخنة •• ثم ، وبالمناسبة ، يغسل الملابس ؟

اكولينا ايفانوفنا : (تشيح بيدها بأسى) لمـاذا تتحدث هكذا ••؟ ان كل هذا نقوم به بدونه •• أما حمل السماور •••

بيوتر : أمى •• انك تثيرين هذه المسألة المـأساوية كل مساء ••

---

* السماور : ابريق فضى ضـخم له صنبور يسـكب الماء المغلى الذى يضاف الى شاى مركز •

من يحمل السماور ·· ولكن صدقيني ·· هذه المسألة ستظل بلا حل حتى تستأجروا بوابا ··

اكولينا ايفانوفنا : وما حاجتنا الى البواب ؟ ان أباك يقوم بعمل البواب ···

بيوتر : ان هذا يسمى تقتيرا ·· والتقتير أمر سيء اذا كان عندكم في البنك ··

اكولينا ايفانوفنا : هس ·· اخرسي ·· لو سمعك أبوك لأراك ماهو البنك ·· أهو أنت الذي وضع النقود في البنك ؟

بيوتر : اسمعي ··

تاتيانا : (تنتفض واقفة) بيوتر ·· كف عن ذلك ·· لقد نفد صبري ··

بيوتر : (يقترب منها) حسنا ، لا تصرخي ·· انني لا أشعر بنفسي الا وأنا منغمس في هذه المناقشات ··

اكولينا ايفانوفنا : عدتما للتأوه ·· ألا يمكنكما أن تقولا ولو كلمة لأمكما ؟··

بيوتر : كل يوم نفس الشيء ·· ان هذه المشاجرات تترك على قلبي شيئا كالهباب ·· كالصدأ ··

اكولينا ايفانوفنا : (تنادي في اتجاه باب غرفتها) هيا الى الشاي أيها الأب !

بيوتر : عندما تنتهي فترة ابعادي عن الجامعة سأرحل الى موسكو وكما كنت أفعل من قبل ، لن آتي الى هنا الا لأسبوع ·· لا أكثر فخلال السنوات الثلاث التي قضيتها في الجامعة اعتدت البعد عن هذا البيت ·· عن كل هذه السفاسف

والتفاهات البرجوازية ‥ ما أحلى حياة الوحدة ‥ بعيدا عن سحر منزل الوالدين ‥

تاتيانا : أما أنا فليس لى من مهرب ‥

بيوتر : لقد قلت لك ارحلى للدراسة التدريبية ‥

تاتيانا : آه ‥ وما حاجتى اليها ‥ اننى أريد أن أعيش ، أن أحيا لا أن أتعلم ‥ افهمنى ‥

اكولينا ايفانوفنا : (تنزل البراد من على السماور فتلسع يدهـــا فتصرخ) عليك اللعنة ‥

تاتيانا : (الى أخيهـــا) اننى لا أدرى ولا أتصور ما معنى أن يحيا الانسان ؟ كيف أستطيع أنا أن أحيا ؟ ‥

بيوتر : (بتفكير) نـــ ‧‧‧ نعم ‧ يجب على الانسان أن يتقن الحياة ‧‧‧ أن يحيا بحذر ‥

بيسيمينوف : (يخرج من غرفته ، وبعد أن يتطلع الى الأولاد يجلس الى المـــائدة ‥ هل دعوتم من نعولهم ؟

اكولينا ايفانوفنا : ادعهم يا بيتيا ‧

(يخرج بيوتر ‧ تاتيانا تتجه الى المنضدة)

بيسيمينوف : مرة أخرى اشتريتم سكر ماكينة ؟

كم مرة قلت ‧‧‧

تاتيانا : أليس الأمر سيان يا أبى ؟

بيسيمينوف : أنا لا أتحدث اليك ‥ وانما الى أمك ‥ فأنا أدرك أنه بالنسبة اليك سيان ‥

اكولينا ايفانوفنا : لم أشتر الا رطلا واحدا أيها الأب.. مازال لدينا قمح لم نكسره بعد .. لا تغضب ..

بيسيمينوف : لست غاضبا .. اننى أقول ان سكر الماكينة ثقيل وليس حلوا .. لذا فشراؤه خسارة .. يجب ألا نشترى سوى أقماع السكر . ويجب تكسيرها بأنفسنا . اذ سيتخلف عن الكسر قطع صغيرة ، وهذه استخدمها للطعام . ثم ان سكر الأقماع أكثر حلاوة وأخف وزنا (يخاطب ابنته) لماذا تمتعضين وتتنهدين ؟ ..

تاتيانا : لا شيء .. لا شيء ..

بيسيمينوف : وما دام لا شيء هناك فلا داعى للتنهد .. هل كلام أبيك ثقيل على أذنيك ؟ اننى لا أقول ذلك لنفسى من أجلكم أنتم الشباب .. لقد عشنا نحن زماننا ، أما أنتم فالحياة أمامكم .. ولكنى عندما أنظر اليكم فاننى لا أفهم كيف ستنظمون حياتكم ؟ وما الذى تنوون عمله ؟ ان نظام حياتنا لا يعجبكم ونحن نرى هذا ونحسه .. فما هو اذن نظامكم .. تلك هى المسألة ... نـ .. نعم !

تاتيانا : أبى ! فكر فقط .. كم مرة تقول لى هذا الكلام ؟

بيسيمينوف : وسأظل أقوله دائما .. حتى القبر .. لأننى قلق عليكم . لم أفكر جيدا عندما ألحقتكم بالمدارس .. فها قد فصل بيوتر وأصبحت أنت عانسا ..

تاتيانا : اننى أعمل .. اننى ..

بيسيمينوف : سمعت .. وما هى الفائدة من ذلك . لا أحد ولا أنت نفسك بحاجة الى الخمسة والعشرين روبلا التى تتقاضينها ..

لو كنت تزوجت وعشت حياة عادية لدفعت لك خمسين روبلا في الشهر ..

اكولينا ايفانوفنا : (طوال حديث الأب الى ابنته تتململ على مقعدها وتحاول عدة مرات أن تقول شيئا ما ، وأخيرا تسأل بلطف): أيها الأب : ألا تريد شطائر ؟ لقد تبقت من الغداء ؟ ألا تريد .

بيسيمينوف (يلتفت اليها ، ينظر اليها في البداية بغضب ثم يخفي ابتسامة ويقول) حسنا هات الشطائر .. هات .. آه .. آه (تندفع أكولينا ايفانوفنا الى الدولاب ويواصل بيسيمينوف حديثه الى ابنته) انظري الى أمك ، انها تحميكم مني كالقطة التي تحمي صغارها من الكلب .. وهي دائما ترتعش وتخشى أن أجرحكم بكلمة .. آه .. الصياد . ها أنت تظهر أيهـــا الضال .

بيرتشيخين : (يظهر في الباب ، وتدخل خلفه بوليا وهي صامتة) السلام على هذا المنزل .. ورب هذا المنزل ذي الشيب وربة المنزل الحسناء ، وأولادهما الـكرام الى أبد الآبدين .

بيسيمينوف : عدت الى الشراب من جديد ؟

بيرتشيخين : بسبب المصيبة ..

بيسيمينوف : (يتحدث وهو يسلم) لقد بعت اليوم عصفور البرقش .. ظل عندي ثلاث سنوات وكان يغني بنغمة عالية .. بعته وشعرت بنفسي انسانا منحطا اذ فعلت ذلك ، فهاجت مشاعري انني آسف عليه فقد ألفته .. وأحببته ..

(تبتسم بوليا وتومىء برأسها للأب)

بيسيمينوف : ولمـاذا بعته اذا كان الأمر هكذا ؟

بيرتشيخين : (يستند على ظهور المقاعد ويدور حول المنضدة) ·· حصلت على ثمن طيب له ··

اكولينا ايفانوفنا : وما حاجتك الى النقود ؟ ستضيعها عبثا على كل حال ··

بيرتشيخين : (يجلس) صدقت أيتها الأم ·· النقود لا تناسب يدى ·· صدقت ··

بيسيمينوف : اذن فلم يكن هناك سبب للبيع ؟

بيرتشيخين : بل كان هناك سبب ، فقد بدأ العمى يصيبه ·· وهذا يعنى أنه سيموت قريبا ··

بيسيمينوف : (يبتسم بسخرية) انك مع ذلك لست تماما أحمق

بيرتشيخين : وهل فعلت ذلك لذكائى ؟ كلا ، بل بطبيعتى الحقيرة

(يدخل بيوتر وتيتريف)

تاتيانا : وأين تيل ؟

بيوتر : ذهب مع شيشكين للتدريب ·

بيسيمينوف : وأين يريدون أن يمثلوا ؟

بيوتر : فى الميدان ··· يريدون تمثيل مسرحية الجنود ·

بيرتشيخين : (مخاطبا تيتريف) أقدم احترامى للناى الالهى ··· أتأتى معى لصيد العصفور الأزرق يا عماه ؟

تيتريف : لا مانع ·· متى ؟··

بيرتشيخين : ان شئت غدا نذهب ··

تيتريف : كلا ، لا أستطيع ·· فلدى جنازة ··

بيرتشيخين : وقبل الغداء ؟

تيتريف : حسنا ·· تعال ·· ألم يتبق من الغداء شيء يا اكولينا ايفانوفنا ؟··

شيء من العصيدة ·· أو ماشابه ذلك ··؟

آكولينا ايفانوفنا : يوجد يا بنى ، يوجد ·· هات يا بوليا ··

(تخرج بوليا)

تيتريف : شكرا جزيلا ·· اننى ·· كما هو معلوم لديكم أتناول غدائى اليوم بسبب الجنازة وحفل الزفاف ··

آكولينا ايفانوفنا : أعلم ·· أعلم ·

(يأخذ بيوتر الكوب المملوء ويذهب الى الغرفة خلف القوس تصاحبه نظرة أبيه الفاحصة ونظرة تيتريف العدائية · لعدة ثوان يأكل الجميع ويشربون في صمت)

بيسيمينوف : انك تكسب جيدا هذا الشهر يا تيرينتى خريسانفوفيتش ·· فكل يوم تقريبا لديك جنازة ··

تيتريف : لا بأس ·· الحظ يحالفنى ··

بيسيمينوف : وحفلات الزواج كثيرة ··

تيتريف : انهم يتزوجون بلا هوادة ··

بيسيمينوف : اذن وفر النقود وتزوج أيضا ··

تيتريف : ليست بى رغبة ··

(تذهب تاتيانا الى أخيها ويبدأ بينهما حديث خافت)

بيرتشيخين : لا تتزوج ، لا داعى ·· ان أمثالى وأمثالك من ذوى الأطوار الغريبة لا يصلحون للزواج ·· من الأفضل أن تذهب لصيد طيور الثلج ·

تيتريف : موافق ·

بيرتشيخين : يا لها من متعة رائعة أن تصيد طيور الثلج ·· ساعة يكون الثلج قد سقط لتوه ، والأرض كأنها ارتدت حلة قداس الفصح ومن حولك البريق والصمت الخاشع والنظافة وخاصة اذا كان اليوم مشمسا ·· ان قلبك ليرقص من النشوة ·· وعلى الأشجار ماتزال أوراق الخريف تلمع ببريق ذهبى ·· أما الغصون ففرشت بفضة من ثلج منقوش ووسط هذا الجمال الخلاب تسمع الصدح : جورلى · جورلى ·· ثم يهبط فجأة من السماء الصافية سرب من الطيور الحمراء ·· صو ·· صو ·· وكأن الخشخاش قد أزهر يا لها من طيور سمينة عظيمة كأنها جنرالات ·· تروح تغدو وتضج وتصدح ·· شيء يخلب اللب ·· اننى أتمنى أن أصبح طائر ثلج لـكى أغوص معها فى الثلج ·· أوه ··!

بيسيمينوف : انه طائر أحمق ·· طائر الثلج هذا ·

بيرتشيخين : وأنا نفسى أحمق ··

تيتريف : أحسنت التصوير ··

أكولينا ايفانوفنا : (لبرتشيخين) انك لبارع ··

بيرتشيخين : كم أحب صيد الطيور ·· لا شيء فى الدنيا أجمل من الطائر الصداح ··

بيسيمينوف : ألا تدرى أن صيد الطيور حرام ؟

بيرتشيخين : أعرف ·· وما العمل اذا كنت أحبها ؟ ولا أجيد شيئا غير هذا ·· اننى أعتقد أن أى عمل يظله الحب ··

بيسيمينوف : أى عمل ؟

بيرتشيخين : أى عمل .

بيسيمينوف : واذا ما أحب أحدهم أن يضع فى جيبه شيئا يخص غيره ؟

بيرتشيخين : ان هذا لايعد عملا ... بل سرقة .

بيسيمينوف : هم ! نعم ... انه كذلك ....

اكولينا ايفانوفنا : (تتثاءب) أوه ! ياللسأم ... دائما يحل السأم كل مساء ... هل أحضرت قيثارتك يا تيرينتى خريسا نفوفيتش ـ وعزفت قليلا ..

تيتريف : (بهدوء) عندما استأجرت الغرفة يا أكولينا ايفانوفنا الموقرة لم أتعهد بالترويح عنكم ...

اكولينا ايفانوفنا : (لم تفهم) ماذا قلت ؟ كيف ؟

تيتريف : قلت بصوت عال وواضح .

بيسيمينوف : (باستغراب وأسى) اننى أنظر اليك يا تيرينتى خريسا نفوفيتش ...... انك شخص ... أعذرنى على هذا التعبير ... لا نفع منه ... شخص لا يصلح لشىء الا أنك تتمتع بكبرياء أشبه بكبرياء النبلاء من أين لك به ؟

تيتريف : (بهدوء) ورثتها ....

بيسيمينوف : قل لى من فضلك ... بم تفخر ... هه

آكولينا ايفانوفنا : انه يتظاهر بالغرابة .. هكذا .. أى كبرياء يمكن أن يكون لديه ؟!

تاتيانا : أماه .. !

اكولينا ايفانوفنا : (تنتفض) هه ؟ ماذا بك ؟

(تهز تاتيانا رأسها بتأنيب)

هل قلت شيئا غير مناسب ؟ حسنا ··· سأصمت · الله معكم !

بيسيمينوف : (وقد شعر بالأهانة) كونى حذرة فى التعبير عن أفكارك أيتها الأم ··· اننا نعيش بين أناس مثقفين ··· يستطيعون أن ينتقدوا كل شيء أما أنا وأنت فعجوزان ··· غبيان ···

اكولينا ايفانوفنا : (باستسلام) ····· نعم ··· طبعا ·· هم أعلم

بيرتشيخين : لقد صدقت فى هذا يا أخى ··· ومع أنك تمزح الا أنك صدقت ····

بيسيمينوف : أنا لا أمزح ····

بيرتشيخين : مهلا ··· ان الشيوخ فعلا قوم أغبياء

بيسيمينوف : خاصة اذا نظر الانسان اليك ···

بيرتشيخين : أنا لست فى عدادهم ··· بل اننى أعتقد انه لو لم يكن هناك شيوخ لما كانت هنا حماقات · ان الشخص العجوز عندما يفكر كالشجرة الخضراء عندما تحترق لا تعطى لهبا بقدر ما تعطى من دخان ·

تيتريف : (مبتسما) أؤيدك ···

(بوليا تنظر برقة الى أبيها وتربت على كتفه بيدها)

بيسيمينوف : (متجهما) حسنا حسنا ··· واصل كذبك ··

(بيوتر) وتاتيانا يقطعان حديثهما وينظران الى بيرتشيخين بابتسامة)

بيرتشيخين : (يواصل حديثه بحماس) وأهم شيء أن الكبار عنيدون ! ان العجوز يرى أنه أخطأ ، ويحس بأنه لا يفقه شيئا ولكنه لا يستطيع أن يعترف بذلك .. يا للكبرياء ! وكيف بعد هذه الحياة الطويلة ، وبعد أن أبلى من السراويل وحدها مالا يقل عن أربعين سروالا ، كيف يعترف بأنه كف فجأة عن الفهم ؟ ان هذا أمر هين له ! فيظل يردد لنفسه : انني عجوز اذن فأنا على حق ! ومن أين له هذا الحق وقد أصبح مخه ثقيلا .. أما الشبان فعقلهم سريع ... خفيف ...

بيسيمينوف : (بغلظة) لقد بالغت فى الكذب مع ذلك ولكن قل لى : ما دمنا أغبياء فمن الضرورى أن تعلمونا الحكمة ؟

بيرتشيخين : وما الداعى ؟ ان اطلاق الرصاص على الأحجار مضيعة للطلقات ..

بيسيمينوف : مهلا .... لا تقاطعنى ... أنا أكبر منك ... انني أقول مابال العقول السريعة انفضت عنا نحن الكبار وترينا من هناك سحنتها الضاحكة ولا تبغي التحدث معنا ؟ فكر أنت فى هذا ... أما أنا فسأذهب لأفكر وحيدا .... ما دمت غبيا بالنسبة لصحبتكم ...

(يدفع بكرسيه فى صخب ويقول وهو واقف فى باب غرفته)
.... أولادى المثقفون ....

صمت

بيرتشيخين : (مخاطبا بيوتر وتاتيانا) آيه يا أولاد ... لماذا أغضبتم العجوز ؟

بوليا : (تبتسم) انك أنت الذى أغضبته

بيرتشيخين : أنا ؟ فى حياتى لم أغضب أحدا ....

أكولينا ايفانوفنا : ايه ... ما أسوأ ما يحدث هنا ! لماذا أغضبتم العجوز ؟ كلكم مقطبون ... غاضبون .. وهو رجل كبير ينشد الراحة كان عليكم أن تحترموه .... انه أبوكم . سأذهب أنا اليه .... اغسلى الأطباق يا بالاجيا .

تاتيانا : (تقترب من المنضدة) لماذا غضب منا أبى ؟

اكولينا ايفانوفنا : (فى الباب) وأنت ظلى بعيدة عنه ... أيتها الذكية !) بوليا تغسل الأطباق وتيتريف يحدج فيها بنظرة قاسية معتمدا بذراعه على المنضدة. يذهب بيرتشيخين الى بيوتر ويجلس الى المنضدة . تاتيانا تنصرف ببطء الى غرفتها)

بوليا : (تخاطب تيتريف) لماذا تنظر الى هكذا ؟

تيتريف : هكذا ...

بيرتشيخين : فيم تفكر يا بيتيا ؟

بيوتر : أفكر فى مكان أذهب اليه ....

بيرتشيخين : منذ مدة طويلة وأنا أريد أن أسألك ... قل لى من فضلك : ما هى شبكة المجارى ؟

بيوتر : وما حاجتك الى ذلك ؟ لو شرحت لك بحيث تفهم جيدا ، فسيطول الشرح وسيكون الأمر مملا ....

بيرتشيخين : وأنت نفسك ... هل تعرف ؟

بيوتر : أعرف ....

بيرتشيخين : (يحدق فى وجه بيوتر بشك) أم أم ...

بوليا : ما بال نيل فاسيليييفيتش قد تأخر ؟

تريف : ما أجمل عينيك !

بوليا : لقد قلت لى ذلك بالأمس ...

تيتريف : وسأقوله غدا ....

بوليا : لماذا ؟

تيتريف : لا أدرى ... ربما تظنين أننى مغرم بك ؟

بوليا : يا الهى ... اننى لا أظن شيئا .

تيتريف : لا تظنين شيئا ؟ يا للأسف ! فكرى قليلا ...

بوليا : حسنا .... فيم ؟

تيتريف : ولو فى السبب الذى يجعلنى أغازلك ؟ ... فكرى ... ثم خبرينى

بوليا : يا لك من غريب الأطوار !

تيتريف : أعرف ... لقد قلت لى ذلك . وأنا أيضا أكرر :ابتعدى عن هذا المكان ... ان وجودك فى هذا البيت سيضرك ... ابتعدى .

بيوتر : هل تتطارحان الغرام ؟ أتريدان أن أنصرف ؟

تيتريف : كلا .... لا تلق بالا ... اننى لا أعتبرك كائنا حيا .

بيوتر : دعابة سخيفة .

بوليا : (لـ تيتريف) كم أنت مشاكس !

(يبتعد تيتريف جانبا وينصت باهتمام الى حديث بيوتر وبيرتشيخين)

تاتيانا : (تخرج منغرفتها ملتفة بشال وتجلس الى البيانو وتسأل وهى تقلب النوت) ألم يأت نيل بعد ؟

بوليا : نعم ··· لم يأت ·

بيرتشيخين : الجو ممل ··· اسمع يا بيتيا ··· لقد قرأت فى المرة السابقة فى النشرة أنهم قد صنعوا فى انجلترا سفنا طائرة وهى تبدو كالسفن العادية ··· ولكن ما أن تضع قدميك عليها وتضغط على زر معين حتى تجد نفسك محلقا بالسفينة كالطير تحت السحاب مباشرة ، وتحملك الى حيث لا تدرى · ويقال ان كثيرا من الانجليز فقدوا بهذه الطريقة ··· هل هذا صحيح يا بيتيا ؟

بيوتر : هراء !

بيرتشيخين : ولكنه نشر فى الصحف !

بيوتر : وهل ما ينشر من الهراء قليل ؟

بيرتشيخين : أهو كثير ؟

(تعزف تاتيانا لحنا حزينا خافتا)

بيوتر : (بأسى) طبعا ·

بيرتشيخين : لا تغضب ·· حقا لماذا تنظرون أيها الشبان الينا نحن الكهول نظرة استعلاء ؟ بل ولاتريدون التحدث الينا·· كلا ، هذا لا يليق !

بيوتر : وماذا بعد ··· ؟

بيرتشيخين : بعد ··· أرى أنه على أن أنصرف فقد أصبحت مملا ·· هل ستذهبين الى المنزل قريبا يا بوليا ؟

بوليا : بمجرد أن أنظف المكان ... (تنصرف من الحجرة تشيعها نظرة تيتريف)

بيرتشيخين : نـ ...نعم ... لقد نسيت يا بيتيا كيف كنا تصطاد العصافير معا ... كنت ساعتها تحبنى ...

بيوتر : فى تلك الفترة كنت أحب أيضا الحلوى والبسكوت ... أما الآن فلا تقربها شفتاى .

بيرتشيخين : مفهوم ... هيا يا عم تيرينتى نتناول البيرة .

تيتريف : ليست لدى رغبة ....

بيرتشيخين : حسنا .. سأذهب بمفردى .. الجو فى الحانة مرح الجو هناك أكثر بساطة .. أما هنا فيكاد الأنسان يموت من الكآبة ... أقول لكم هذا دون مجاملة ... انكم لا تفعلون شيئا وليست لديكم أى اهتمامات ... هيا نلعب الورق .. ها نحن أربعة ...

(تيتريف ينظر الى بيرتشيخين بابتسامة)

لا تريدون ؟ حسنا ... كما تشاءون .. اذن وداعا (يقترب من تيتريف ويصدر حركة تشير الى الدعوة الى الباب) هيا ؟

تيتريف : كلا ...

(ينصرف بيرتشيخين مشيحا بيده علامة اليأس . تمر ثوان من الصمت .تسمع بوضوح الأنغام الخافتة للقطعة الموسيقية التى تعزفها تاتيانا.. بيوتر ينصت وهو مستلق على الأريكة ثم يأخذ فى عزف اللحن بفمه . ينهض تيتريف من مكانه ويتنقل فى الغرفة . وفى المدخل خلف الباب يسقط محدثا جلبة شىء معدنى .... دلو أو أنبوبة السماور ... يسمع صوت ستيبانيدا تصبح ، الى أين أيها الشيطان ؟

تاتيانا : (مواصلة العزف) كم تأخر نيل ...

بيوتر : لم يأت أحد ...

تاتيانا : هل تنتظر يلينا ؟

بيوتر : أنتظر أي انسان ...

تيتريف : لن يأتي اليكم أحد ...

تاتيانا : أنت دائما عبوس ....

تيتريف : لن يأتي اليكم أحد ، فليس لديكم ما يعطى ....

بيوتر : هكذا يقول تيرنيتي بوجسلوفسكي ....

تيتريف : (باصرار) ألا تلاحظان أن بائع الطيور الكهل هـذا روحه حية ومعنوياته مرتفعة ، في حين أنكما شبه ميتين وأنتما بعد على عتبة الحياة ؟

بيوتر : وأنت ؟ ما رأيك في نفسك ؟

تاتيانا : (تنهض من مقعدها) كفاكم أيها السادة لقد تكرر هذا .. تكرر ... لقد تحدثتما في هذا !

بيوتر : (يعجبني أسلوبك يا ترينتي خريسا نفوفيتش .. ويعجبني دورك .. دور القاضي الذي يحاكمنا ... ولكن أود أن أفهم، لماذا اخترت هذا الدور لتلعبه ... انك دائما تتحـدث كما لو كنت تقرأ لنا ترتيلا للرحمة ..

تيتريف : لا توجد مثل هذه التراتيل ....

بيوتر : سيان ... أريد أن أقول انك لا تحبنا ..

تيتريف : جدا ...

بيوتر : شكرا على هذه الصراحة ٠

(تدخل بوليا)

تيتريف : هنيأً مريئاً ٠

بوليا : ماذا تقدم لهم ؟٠٠

تاتيانا : صفاقة !

تيتريف : بل الحقيقة ٠٠٠

بوليا : أريد أن أذهب الى المسرح ٠٠ أيريد أحدكم أن يأتى معى ؟٠٠

تيتريف : أنا ٠٠٠

بيوتر : ماذا يعرض اليوم ؟

بوليا : « الشباب الثانى » هيا بنا يا تاتيانا فاسيلييفنا ؟

تاتيانا : كلا ٠٠٠ سأكف عن التردد على المسرح هذا الموسم لقد مللته ٠٠٠ ان كل هذه التراجيديات المليئة بالطلقات والعويل والنحيب تغيظنى وتستفزنى ٠

(يدق تيتريف بيده على أحد مفاتيح البيانو فتنساب فى الغرفة نغمة خفيفة حزينة) كل هذا ليس حقيقيا ٠٠٠الحياة تسحق الناس بلا ضجيج ٠٠٠ بلا صراخ ٠٠٠ بلا دموع ودون أن يشعر أحد ٠

بيوتر : (بكآبة تمثل المآسى عن عذاب الحب ، ولا أحد يرى تلك المآسى التى تمزق روح الانسان المتردد بين كلمتى «أريد» و « يجبعلى » ٠٠٠

(تيتريف يبتسم ويواصل الدق على مفاتيح «الباص »)

بوليا : (تبتسم بخجل) أما أنا فأحب المسرح ٠٠ بجنون فمثلا

دون سيزار دى بازان ، ذلك الأسبانى .... انه رائع ...
بطل حقيقى .

نيتريف : هل أشبهه ؟

بوليا : أوه ... كلا ... مطلقا !

تيتريف : (مبتسما بسخرية) ايه ... يا للأسف !

تاتيانا : عندما يبوح الممثل بحبه على خشبة المسرح ... ـ أستمع اليه وأغلى من الغضـب « ان هذا ليس حقيقيا .... ليس حقيقيا .

بوليا : حسنا ... سأذهب أنا ... ألا تأتى يا تيرينتى خريسـا نفوفيتش ؟

تيتريف : (يكف عن الدق على المفاتيح) كلا . لن أذهب معك مادمت لا تجدين فى أى شبه بالنبيل الأسبانى ...

(بوليا تنصرف وهى تضحك)

بيوتر (ينظر فى أثرها) ما لهذه والنبيل الأسبانى ؟

تيتريف : انها ترى فيه انسانا سليما ....

تاتيانا : ملابسه جميلة ....

تيتريف : وهو مرح ... الشخص المرح دائما شخص طيب .... فنادرا ما تجد الأوغاد مرحين

بيوتر : من وجهة النظر هذه لابد أنك أعظم شرير فى العالم ...

تيتريف : (من جديد يجعل البيانو يصدر أنغاما .. خافتة) اننى ببساطة سكير .. لا أكثر .. أتعرفون لماذا تمتلىء روسـيا بالسكارى ؟ لأنه من الأجدى أن تصبح سكيرا .. ان السكارى

عندنا محبوبون · هنا يحقدون على الشخص المبتكر الجسور ويحبون السكارى ·· لأنه من المريح للنفس أن تحب شيئا تافها ، غثا من أن تحب شيئا كبيرا ·· طيبا ·

بيوتر : (يخطو فى الغرفة) عندنا فى روسيا ·· عندنا فى روسيا ما أغرب وقع هذه الكلمات ! هل روسيا لنا ؟ هل هى لى ؟ لكم ؟ ·· ماذا نحن ؟ من نحن ؟ ·

تيتريف : (يغنى) نحن الطيور الحرة ··

تاتيانا : تيرينتى خريسا نفوفيتش ·· كف عن المزاح من فضلك ان هذا اللحن جنائزى ··

تيتريف : (مستمرا) اننى أصاحب بالعزف مزاجكم ·· (تخرج تاتيانا من الغرفة يتملكها الأسى)

بيوتر : ن ·· نعم ·· بالفعل ، كف عن هذا ·· انه يثير الأعصاب اننى أعتقد أن الفرنسى أو الانجليزى عندما يقول : فرنسا أو انجلترا ! فانه لابد يتخيل خلف هذه الكلمة شيئا حقيقيا محسوسا ·· شيئا مفهوما لديه · أما أنا فعندما أقول روسيا أحس أن هذا بالنسبة لى صوت أجوف · وليس لدى القدرة لكى أضع فى هذه الكلمة أى مضمون واضح ·

(صمت · يعاود بيتريف الدق على البيانو)

هناك كلمات كثيرة تعودنا أن نقولها دون أن نفكر فيما وراءها ··· مثلا : الحياة ·· حياتى ·· ما الذى تحمله هاتان الكلمتان من معنى ؟ (يصمت ويخطو فى الغرفة)

(يدق تيتريف على المفاتيح بهدوء فيملأ الغرفة أنغاما كأنها أنات · ويتابع بيوتر بابتسامة متجمدة على وجهه) أى

شيطان دفعنى الى الاشتراك فى تلك المظاهرات الحمقاء ! لقد ذهبت الى الجامعة لأتعلم ، وكنت أتعــلم ٠٠ كف عن الدق من فضلك ! لم أكن أشعر بأن نظام الحكم يمنعنى من دراسة القانون الرومانى ٠٠ كلا ! حقا ٠٠ لم أشعر كنت أشعر فقط بنظام الزمالة ٠٠ وخضعت له ٠ وها قد ضاع من عمرى عامان ٠٠ نعم ! ان هذا القهر ٠٠ قهر مسلط على ٠ أليس كذلك ؟ كنت أظن أننى سأنهى الدراسة ثم أعمل محاميا ٠٠ أعمل وأقرأ ٠٠ وأفكر وأعيش ٠

تيتريف : (مكملا له بسخرية) لاسعاد الوالدين ، وخير الكنيسة والوطن وخادما مطيعا للمجتمع ٠

بيوتر : المجتمع ؟ هذا هو ما أمقته ٠ انه مايزال يزيد من متطلباته نحو الفرد بينما لا يتيح له الفرصة لكى ينمو نموا صحيحا ٠٠ دون عقبات ٠٠ لقد صرخ المجتمع فى وجهى بلسان رفاقى : على الانسان أن يكون قبل كل شيء وقد كنت مواطنا ٠ فليذهبوا الى الشـــيطان ٠٠ اننى لا أريد ٠٠ اننى فى حل من الخضوع لمتطلبات المجتمع ٠٠ أنا فرد ٠٠ فرد حر ٠٠ اسـمع كف عن هذا الرنين الشيطانى ٠

تيتريف : اننى أصاحبك أيها البرجوازى لمدة نصف ساعة ٠

(جلبة فى المدخل خلف الباب)

بيوتر : (بغيظ) دعك من السخرية ٠٠

(يواصل تيتريف الدق وهو ينظر الى بيوتر بتحد ٠ يدخل نيل ويلينا وشيشكين وتسفينايفا وتدخل تاتيانا فى أثرهم)

يلينا : ما معنى هذا الرنين الجنائزى ؟ مرحبا أيها المتوقع الرهيب مرحبا بوكيل النيابة المقبل ٠٠ ماذا تفعلان هنا ؟

بيوتر : (مقطبا) حماقات ...

بيتريف : اننى أعزف لحن الوداع لانسان خبانوره قبل الأوان !

نيل : (مخاطبا تيتريف) اسمع .. أريد منك خـــدمة (يهمس بشىء ما فى أذنه ويهز تيتريف رأسه موافقا)

تسفيتايفا : أيها السادة .. كم كان التدريب شيقا !

بلينا : آه يا وكيل النيابة .. لو رأيت كيف كان المـــلازم بيــكوف يتودد الى بجنون !

شيشكين : انه عجل ، بيكوفك هذا ..

بيوتر : لماذا تعتقدين أنه يهمنى أن أعرف من تودد اليك وكيف ؟

بلينا : أوه .. انت منزعج ؟

تسفيتايفا : بيوتر فاسيليفتش دائما منزعج .

شيشكين : تلك حالته الطبيعية .

بلينا : تانيا ... وأنت كالعادة حزينة كليلة من ليالى سبتمبر ؟..

تاتيانا : نعم .. كالعادة ..

بلينا : أما أنا ففى غاية المرح .. هلا أخبرتمونى أيهـا الســادة .. لماذا أشعر دائما بالمرح ؟

نيل : أرفض الاجابة على السؤال .. فأنا دائما أشعر بالمرح .

تسفيتايفا : وأنا كذلك ...

شيشكين : أنا لست مرحا دائما .. وانما ...

تاتيانا : باستمرار ...

بلينا : تانيا .. هل تمزحين ؟ هذا جميل .. أحب أيها المتقوقع لماذا أشعر بالمرح ؟

تيتريف : يا للطيش المجسد !

بلينا : ماذا ؟ حسنا سأذكرك بهذه الكلمات عندما تأتى لتبوح بحبك .

نيل : أما آنا فأود أن آكل شيئا ما .. على أن أذهب قريبـــا الى الوردية .

تسفيتايفا : ستعمل طول الليل ؟ يا للمسكين !

نيل : بل أربعا وعشرين ساعة ... من الأفضل أن أذهب الى المطبخ وأحيى ستيبانيدا .

تاتيانا : سأقول لها . (تخرج مع نيل)

تيتريف : (مخاطبا يلينا)) اسمحى لى .. وهل من الضرورى أن أقع فى حبك ؟

بلينا : نعم أيها الصديق .. نعم أيها الوحش الخرافى الكئيب .. نعم ! نعم !

تيتريف : (متراجعا) سمعا وطاعة .. هذا بالنسبة لى أمر سهل .. فقد كنت مرة أحب فتاتين وامرأة متزوجة فى وقتواحد

بلينا : (تواصل الهجوم) حسنا .. ثم ماذا ؟

تيتريف : بلا جدوى ...

بلينا : (تهمس مشيرة بعينيها الى بيوتر) ماذا حدث بينكما ؟

(يضحك تيتريف . يتحدثان بصوت منخفض)

شيشكين : (مخاطبا بيوتر) اسمع يا أخى .. هلا أقرضتنى روبلا لثلاثة أيام ؟ لقد بلى حذائى .

بيوتر : خذ .. أصبحت مدينا لى بسبعة ...

شيشكين : أذكر ...

تسفيتايفا : بيوتر فاسيليفيتش .. لماذا لا تشارك فى مسرحياتنا؟

بيوتر : اننى لا أجيد التمثيل .

شيشكين : وهل نحن نجيده ؟

تسفيتايفا : تعال معنا ولو لتشاهد تدريبنا .. ان الجنود ظرفاء جدا ... ويوجد بينهم شخص اسمه شيركوف ... مضحك جدا ... ساذج ، بسيط ويبتسم بلطف ... وحياء ... ولا يفقه شيئا .

بيوتر : (يتابع يلينا من طرف عينه) عفوا ... ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن أن يكون هناك أناس ظرفاء بينما لا يفقهون شيئا ؟

شيشكين : نعم .. ولكن هناك غير شيركوف كثيرون ..

بيوتر : حقا ، أظن أنهم فصيلة كاملة ..

تسفيتايفا : كيف يمكن أن تقول هذا ؟ اننى لا أفهم .. أهى أرستقراطية أم ماذا ؟

تيتريف : (فجأة بصوت عال) أنا لا أعرف الشفقة ..

يلينا : تش .. ـشى !

بيوتر : اننى برجوازى صغير كما هو معلوم لديكم ..

شيشكين : وهذا أدعى الى عدم فهم موقفك الذى يجعله الناس البسطاء .

تيتريف : لم يشفق على أحد أبدا ..

يلينا : (يهمس) ألا تدرى أنه يجب دفع الشر بالخير ؟

تيتريف : ليس لدى عمله .. لا كبيرة ولا صغيرة ..

يلينا : آه .. اخفض صوتك ..

بيوتر : (يصغى الى حديث تيتريف (تاتيانا) أنا لا أدرى ..
لماذا تلعبون دور العاطف على هؤلاء البسطاء ؟

تسفيتايفا : نحن لا نلعب .. اننا نشاركهم بكل ما نستطيع .

شيشكين : بل ليس الأمر كذلك .. اننا نشعر بالسرور عندما نكون بينهم .. فهم على سجينهم .. وبينهم تتنفس بحرية كما لو كنت فى الغابة .. ولا يضير أمثالنا ممن يتعاملون مع الكتب أن يجددوا قواهم ..

بيوتر : (باصرار وغيظ مكشوف) بل الأمر ببساطة انكم تحبون أن تعيشوا على الأوهام .. أنتم تذهبون الى الجنود بغرض خفى .. واعذرونى ان قلت الحق : انه غرض مضحك .. ان تجديد القوى بين الجنود هو .. اعذرونى ..

تسفيتايفا : ليس بين الجنود فقط . .انك تعلم أننا نقيم حفلاتنا كذلك فى ورش السكة الحديد ..

بيوتر : سيان .. اننى أقول انكم تخدعون أنفسكم عندما ـ تسمون ما تقومون به من هرولة وجلبة فارغة عملا حقيقيا .. انكم مؤمنون بأنكم تساعدون على رقى الفرد .. وخلافه وأنتم بذلك تخدعون أنفسكم فسيأتى غدا ضابط أو أوسطى فيلطم هذا الفرد على وجهه ويفرغ من رأسه كل ما وضعتم فيه .. ان كنتم قد وضعتم شيئا !

تسفيتايفا : كم يحزننى سماع هذه الكلمات !

شيشكين : (بكآبة) نعم .. كلمات لا تفرح .. ولست أسمعها لأول مرة ، وكلما سمعتها كلما ازددت نفورا منها .. سيأتى يوم يا بيوتر ونحسم هذا الموضوع الى الأبد .

بيوتر : (ببرود وتراخ) كم أخاف ·· ولـكنى مشـــوق الى هـذا اليوم ·· !

يلينا : (تصرخ بحمية) لماذا تسىء الى نفســك هكذا ؟ خبرونى يا سادة ·· لماذا يريد أن نعتبره شريرا ؟

بيوتر : طلبا للتميز عن الآخرين على ما أظن ·

تسـفيتايفا : طبعا ·· يريـد أن يبدو مثيرا ·· كل الرجال ـ يتظاهـرون بالاثارة ·· أمام النســاء ·· فبعضهـم يتظاهـر بالتشاؤم والآخر بأنه ميفستوفيل ·· بينما هم فى الحقيقة كسالى ·

تيتريف : باختصار ·· ووضوح ·· وروعة !

تسفيتايفا : وماذا تريد ؟ ليس فى نيتى أن أجاملكم ·· لا تنتظروا منى ذلك ـ فأنا أعرف حقيقتكم ··

تيتريف : فى هذه الحالة فانك تعلمين أكثر مما أعلم ·· ولـكن هل تعلمين بهذه المناسبة الآتى : هل يجب دفع الشر بالخير أم لا يجب ؟ أو ببســــاطة : هل تعتقـدين أن الخير والشر متساويان أم لا ؟

تسفيتايفا : بدأنا نتفلسف !

شيشكين : مهلا ·· دعيه يتحدث ·· أن حديثه شيق ·· كم أحب أيها السادة سماع تيتريف ·· انه أحيانا يخز عقلك وخزة تجعلك تفكر ·· خاصة وأن أفكارنا والحق يقال ، عادية ، ماسحة كقطعة النقود القديمة ·

بيوتر : انك لفى غاية النبل اذ تعمم ميزاتك الخاصة على الجميع ··

شيشـكين : أوه ·· أوه ·· الحق يجب أن يقال يا أخى ·· على

الانسان أن يكون صادقا حتى فى التفاهات٠٠ اننى أصارحكم بأننى لم أقل أبدا كلمة واحدة أصيلة ٠٠ كم أتوق الى ذلك أيها السادة !

تيتريف : ها قد قلت !

شيشكين : (بحماس) حقا ؟ كلا ٠٠ انك تكذب ؟ وماذا قلت ؟

تيتريف : بل قلت يا أخى ٠٠ حقا ٠ أما ماذا قلت ، فخمن بنفسك!

شيشكين : لابد أن هذا حدث عفوا ٠٠

تيتريف : لا يمكن أن تكون أصيلا عن عمد ٠٠ لقد حاولت ذلك

بلينا : هيا يا معذبنا ٠٠ حدثنا عن الخير والشر ٠

شيشكين : نعم ٠٠ هيا ٠٠ أدر اسطوانة الفلسفة !

تيتريف : (يتخذ وضعا تمثيليا) أيها المحترمون ٠٠ انكم تخطئون عندما تقولون انه يجب دفع الشر بالخير ٠٠ ان الشر شيء ورثتموه ولذلك فهو قليل القيمة ٠٠ أما الخير فشيء اخترتموه ٠٠ ودفعتم ثمنه غاليا ٠٠ ولذلك فهو عظيم القيمة ٠٠ انه شيء نادر ٠٠ ليس هناك ما هو أروع منه على هذه الأرض ٠ ومن هنا نستنتج أن مساواة الخير بالشر فيها خسارة لكم ولا نفع منها ٠٠ اننى أقول لكم : لا تدفعوا بالخير الا الخير ٠٠ ولا تدفعوا أبدا أكثر مما حصلتم عليه ، حتى لا توقظوا فى الانسان شعور المرابى ٠٠ فالانسان جشع فاذا ما أخذ مرة أكثر مما يستحق فانه فى المرة القادمة يريد أن يأخذ أكثر ٠٠ وكذلك لا تدفعوا له أقل مما يجب عليكم أن تدفعوا ٠٠ لأنكم لو غالطتموه الحساب ـ والانسان لا ينسى السيئات ـ فسيقول عنكم انكم مفلسون وسيكف عن احترامكم ، وبعد ذلك لن يقدم لكم خيرا ، بل سيعطيكم

حسنة ! أيها الاخوة راعوا الدقة فى دفع ثمن الخير المقدم لكم فليس هناك شيء أكثر مدعاة للأسى والا شـمئزاز من ذلك الأنسان الذى يعطى حسنة لقريبه ! أما الشر . فادفعوا ثمنه أضعافا مضاعفة .. كونوا أسخياء بقوة عندما تكافئون القريب على ما يصنعه لكم من شر . فاذا ما ـ طلبتم منه خبزا فأعطاكم حجرا فلتهدموا جبـلا على رأسـه (يبدأ تيتريف حديثه بقوة وايمان . وبعد أن ـ ينهى حديثه يخطو بتؤده ثم يتنحى جانبا)

(تمر دقيقة من الصمت التام . الوجوم يسـيطر على الجميع اذ يشعرون فى كلماته بشيء ما ثقيل وصادق) .

بلينا : (بصوت منخفض) لابد انك قاسيت كثيرا من الناس ..

تيتريف : (يصر على أسنانه) ولكن هذا أعطانى أملا سعيـدا بأنهم مع الزمن سيقاسـون منى .. أو على الأصح سـيقاسـون بسببى .

نيل : (نيل فى يده سلطانية وقطعـة من الخبز) يتحدث بينمـا يحرص على ألا يريق ما فى السلطانية) .

(تدخل خلفه تاتيانا)

كل هذا فلسفة .. ان لديك عادة سيئة ياتانيا وهى (أنك تفلسفين الأمور التافهة . فاذ سـقط المطر فهذه فلسفة واذا آلمك اصبعك فتلك فلسفة أخرى ، واذ انتشرت رائحة المدفأة فتلك فلسفة ثالثة . وعنـدما أسـمع هذه الفلسفات التافهة أجدنى أفكر رغما عنى فى أنه ليس مفيدا للبعض أن يتعلموا .

تاتيانا : يا لك من فظ .. يا نيل !

نيل : (يجلس الى المنضدة ويأكل) أى فظ أنا ؟ اذا كنت مللت الحياة فاشغلى نفسك بشيء ما . . من يعمل لا يمل اذا كنت تعبت من الحياة فى المنزل فلتذهبى الى القرية

بلينا : هكذا تستحق . . أسلخ جلد هذا أيضا و (تشير الى تيتريف) نعم هذا !

نيل : (ينظر بطرف عينه) انه أيضا غريب . . يريد أن يبدو مثل هيراقليط

تيتريف : سمني سويفت ان لم يكن ذلك صعبا عليك . .

نيل : انه لشرف كبير !

بيوتر : نعم . . كبير الى حد ما !

تيتريف : أما أنا فيسرنى هذا .

تسفيتايفا : يا لك من شره !

نيل : (ينظر فى السلطانية) لا تغضبى . . ماذا . . هل . . كانت بولياهنا ؟ أعنى الى أين ذهبت ؟

تاتيانا : الى المسرح . . ماذا هناك ؟

نيل : لا شيء . . اننى أسأل هكذا . . بصفة عامة . .

تاتيانا : هل أنت بحاجة اليها ؟

نيل : كلا . . لست بحاجة اليها . . أعنى لست بحاجة اليها الآن . . أما عموما . . وبصفة دائمة فأنا بحاجة اليها . . يا للشيطان لقد ارتبكت تماما .

(الجميع يبتسمون ماعدا تاتيانا)

تاتيانا : (باصرار) لماذا ؟ لماذا أنت بحاجة اليها ؟

(نيل لا يرد . يواصل الأكل)

بلينا : (تخاطب تاتيانا بسرعة) لماذا كان يعنفك ·· خبريني !

تسفيتايفا : نعم ·· ان هذا طريف ·

شيشكين : وأنا يعجبني كذلك كيف يلقى نيـل فاسـيليبيفيتش بمواعظه ·

بيوتر : أما أنا فيعجبني كيف يأكل ··

نيل : انني أقوم بكل شيء بصورة مرضية ··

بلينا : هيا ·· تكلمي يا تاتيانا !

تاتيانا : ليست بي رغبة ··

بلينا : انها دائما لا تشعر برغبة في أى شيء ··

تاتيانا : وكيف تعرفين ؟ ربما بي رغبة في ·· الموت ؟

تسفيتايفا : أف ·· انه فظيع !

بلينا : برر ! كم أكره ذكر الموت !

بلينا : تعالوآ عندى أيها السادة ·· لابد أن السماور معد منذ مدة ·

شيشكين : ما ألذ شرب الشـــاى الآن ! خاصة اذا كان بجواره ما يؤكل · ·هل يمكن أن نأمل في ذلك ؟

بلينا : بالطبــع ··

شيشكين : (مشيرا الى نيل) انني أنظر اليه (وأغبطه··

يالى من انسان مذنب !

نيل : لا تغتبط ، فقد أتيت على الطعام ·· سأذهب معكم أنا أيضا فما زال لدى من وقت الفراغ نصف ساعة ·

تاتيانا : من الأفضل أن تستريح حتى يحين موعد عملك

نيل : لا يهم !

يلينا : هل تأتى معنا يا بيوتر فاسيليفيتش ؟

بيوتر : اذا سمحت ..

يلينا : أسمح بكل سرور .. هات يدك !

تسفيتايفا : قفوا أزواجا .. تعال الى يا نيل فاسـيلييفيتش ..

شيشكين : (مخاطبا تاتيانا) اذن فأنت معى ..

تيتريف : ثم يقولون أن النساء فى العالم أكثر من الرجال . ولكننى عشت فى مختلف المدن ، وكنت دائما أظل بدون امرأة ..

يلينا : (تضحك ثم تتجه نحو الباب وهى تغنى) :

شيشكين : (يدفع بيوتر فى ظهره) تقدم بسرعة يا ابن الوطن !
(يخرجون بجلبة وغناء وضحك . تظل الغرفة بضـع ثوان خاوية . ثم يفتح باب غرفة الوالدين وتخرج منـه أكولينا ايفانوفنا وتطفىء المصباح وهى تتثاءب . يسمع صوت الأب فى غرفتهوهو يقرأ برتابة التراتيل . تعود العجوز فى الظلام وهى تصطدم بالمقاعد)

(ستــار)

(١) البيت الاول من نشيده « المارسلييز » ، « قدما ابناء الوطن »
(المترجم)

الفصل الثـانى

(فى نفس الغرفة . الوقت ظهرا فى الخريف .
يجلس العجوز بيسيمينوف الى المنضدة . تاتيـانا
تروح وتجىء فى الغـرفة ببطء ودون أن يسـمع وقع
خطواتهـا . بيوتر يقف عند الحـاجز ويحملق من
النافذة) .

بيسيمينوف : ساعة كاملة أتحدث اليكم يا أولادى ·· ولكن يبدو أننى لا أجد من الكلمات ما يحرك قلوبكم ·· فأحدكم يدير لى ظهره ·· والأخرى تحجل كغراب على سور

تاتيانا : سأجلس ·· (تجلس)

بيوتر : (يدير وجهه نحو أبيه) خبرنا بصراحة ·· ماذا تريد منا ؟

بيسيمينوف : أريد أن أفهم أى قوم أنتم ؟ أود أن اعرف اى انسان انت ؟

بيوتر : انتظر ·· سأجيبك وستفهم ·· سترى ·· فقط دعنى أنهى دراستى أولا ··

بيسيمينوف : نعم ·· الدراسة ·· أدرس ! ولكنك لا تدرس بل تهرج لقد تعلمت احتقار كل ما هو حى ثم لم تتعلم قواعد السلوك ·· لقد طردوك من الجامعة ·· أتظن أن ذلك ليس صوابا ؟ انك مخطىء · مهمة الطالب هى أن يتعلم لا أن يشرع · فاذا ما أراد كل فتى بلغ العشرين أن يصبـــح من واضعى النظم · ·فسينقلب كل شىء رأسا على عقب ·· ولن يكون لرجال الأعمال مكان على سطح الأرض · تعلم ·· كن

ماهرا في عملك وساعتها تفلسف كما شئت ‥ أما قبل ذلك فلكل انسان الحق في أن يقول لك : صه ! انني أقول هـذا لا تشـفيا فيك بل من كل قلبي لأنك ابني ‥ دمي ولحمي ‥ وخلافه ‥ أما نيل فلا أقول له شيئا ‥ بالرغم مما بذلته من أجله ‥ بالرغم من أنه ابني بالتبني ‥ الا أنه مع ذلك ليس من صلبي وكلما كبر كلما ازداد شعوري بأنه غريب عني ‥ انني أعلم أنه لن يكون انسانا محترما ‥ ربما يصبح ممثلا ‥ أو شيئا من هذا القبيل ‥ بل حتى ربما يصبح اشتراكيا ‥ في ألف داهية !

اكولينا ايفانوفنا : (تطل من الباب ، تقول بصوت ذليل شاك) أيها الأب ‥ ألم يحن الوقت للغداء ؟

بيسيمينوف : (بحزم) اغـــربي عن وجهي ‥ لا تقحمي نفســـك فيما لا يخصك ‥ (تختفي اكولينا ايفانوفنا خلف الباب تنظر تاتيانا الى أبيها بعتاب ، تنهض من المقعد وتتجول في الغرفة من جديد)

أرأيتم ؟ أمكم لا تهدأ لحظـة عن حمايتـكم ‥ تخشى دائما أن أسيء اليـــكم ‥ أنا لا أريد أن أسيء الى حد ‥ فأنا نفسي أشعر بمرراة الاساءة الى ‥ انني أسير في بيتي بحذر ‥ كما لو كانت الأرض مغطاة بزجاج مكسور ‥ حتى ضيوفي من أصـدقائي القدامى كفـوا عن زيارتي ‥ يقولون : ان أبناءك مثقفون ونحن قوم بسـطاء وسيسخرون منا ! ولقد سخرتم منهم أكثر من مرة ، وكنت أنا أحترق من الخجل من سلوككم لقد هجرني كل الأصدقاء ‥ وكأن الأولاد المثقفين طاعون ! بينما أنتم لا تبدون أي اهتمام بأبيكم ‥ لم تقولوا له أبدا كلمة رقيقة ٠ لم تفضوا اليه أبدا بما يقلقكم ولا بما

تنوون صنعه اننى بالنسبة لكم غريب ·· مع أنى أحبكم ··
أحبكم ·· هل تفهمون ما هو الحب ؟ لقد طردوك من الجامعة
وأنا يحز فى نفسى الألم وتاتيانا عبثا تذوى وهى عانس ··
بينما يتملكنى الأسى بل والخجل أمام الناس ·· آنها ليست
أسوأ من كثيرات غيرها تزوجن ·· وخلافه · أريد يا بيوتر
أن أراك انسانا لا طالبا ·· انظر الى ابن فيليب نازاروف ··
لقد أكمل تعليمه وتزوج ومرتبه ألفا روبل ·· ومرشح
لعضوية مجلس المدينة ·

بيوتر : صبرك يا أبى ·· سأتزوج أنا أيضا ··

بيسيمينوف : نعم ·· انى أرى ! انك مستعد للزواج ولو غدا ··
ولكن ممن ؟ من امرأة لعوب ·· فاجرة ·· وأرملة أيضا ··
آه ·· آه ·· !

بيوتر : (يغلى) ليس لك الحق أن تقول انها ·· كذلك ·

بيسيمينوف : مطلقة أم فاجرة ؟

تاتيانا : أبتاه أرجوك ! أرجوك كف عن ذلك ! اذهب يا بيوتر ··
أو اسكت ·· ألا ترى أننى صامتة ؟ اسمعوا ·· اننى لا أفهم
شيئا ·· عندما تتحدث يا أبى أشعر أنك محق ·· نعم أنك
محق ·· صدقنى ·· اننى أحس ذلك جيدا ·· ولكن
الحقيقة التى تقولها غريبة علينا ·· عليه وعلى ·· هل
تفهم ؟ ان لدينا حقيقة يا أبى خاصة بنا ·· مهلا ·· لاتغضب
يا أبى ·· هناك حقيقتان يا أبى ··

بيسيمينوف : (ينتفض واقفا) انك تكذبين ·· هناك حقيقة
واحدة ·· وهى الحقيقة التى أقولها ·· ما هى حقيقتكم ؟
أين هى ؟ أرنيها ؟

بيوتر : لا تصرخ يا أبى ! اننى أيضا أقول انك على حق ·· نعم ولكن حقيقتك ضيقة علينا لقد كبرنا فضاقت كما يضيق الثوب اننا نشعر بضيقها وضغطها علينا ·· وكل ما عشت له يا أبى وكل نظام حياتك لم يعد صالحا لنا ··

بيسيمينوف : نعم ! أنتم ·· أنتم !! طبعا أنتم مثقفون ·· أماأنا فغبى ! أنتم ··

تاتيانا : لم نقصد ذلك يا أبى ·· ليس هكذا ··

بيسيمينوف : كلا ·· بل هكذا · الضيوف لا يأتون الا لكم ·· وتملأون البيت ضجيجا ·· حتى النوم لم يعد مستطاعا · ·· أنت تغازل الساكنة أمام عينى ·· وأنت دائما عابسة أما أنا ·· أنا وأمك فننكمش في الركن ·

اكولينا ايفانوفنا : (تندفع الى الغرفة وتصرخ بمسكنه) أحبائى·· اننى ·· هل قلت شيئا ؟ اننى فى الركن ·· وفى الركن فى الحظيرة ·· فقط كفوا عن الشجار ··لا تأكلوا بعضكم يا أعزائى ·

بيسيمينوف : (يجذبها بيد ويدفعها بالأخرى) اغربى أيتها العجوز ·· هم ليسوا بحاجة اليك ·· ليسوا بحاجة الينا ·· فهم أذكياء ·· ونحن غريبان بالنسبة لهم ·

تاتيانا : (تتأوه) يا للعذاب ·· يا للعذاب !

بيوتر : (شاحبا وبيأس) افهم يا أبى ·· تلك حماقة ·· حماقة ·· فجأة وبلا سبب ··

بيسيمينوف : فجأة ؟ انك تكذب ·· ليس فجأة ·· بل من أعوام والدمل فى قلبى يتقيح ··

اكولينا ايفانوفنا : تنازل يا بيتيا .. لا تناقش .. تانيـا ..
اشفقى على أبيك !

بيسيمينوف : حماقة ؟ انك غبى .. انه شيء مخيف .. وليس
حماقة .. فجأة .. كان الأب والأبناء يعيشون .. وفجأة ..
حقيقتان ! انكم وحوش !

تاتيانا : انصرف يا بيوتر .. اهدأ يا أبى أرجـوك .. هيـا ..

بيسيمينوف : أيها القســاة ! لقد أرحتمونا من الحيــاة .. بماذا
تفخرون ؟ ماذا فعلتم ؟ أما نحن فقد كنا نعيش .. ونعمل ..
ونبنى البيوت .. من أجلكم .. اقترفنا الذنوب .. وربما
كثيرا من الذنوب .. من أجلكم !

بيوتر : (صـارخا) هل طلبت أنا منك أن .. تفعل كل هـذا ؟

اكولينا ليفانوفنا : بيوتر .. اصنع معروفا ..

تاتيانا : أخرج من هنا يا بيوتر .. اننى لا أستطيع .. سأخرج ..
(تتهالك على المقعد باعياء) ..

بيسيمينوف : آ .. تهربون من الحقيقة كما تهرب الشياطين من
البخور .. هذا وخز الضمير .

نيل : (يفتح باب المدخل على مصراعية ويقف نيل على العتبة ..
انه قادم من العمل . وجهه أسود من الدخان والهباب ، يداه
كذلك ملوثتان .. يرتدى سترة قصيرة مشبعة بالشحوم الى
حد اللمعان ومشدود على خصره حزام ، وينتحل حذاء قذرا
طويلا حتى الركبة (تزلك) يمد يده وهو يقول فليعطنى
أحدكم كابيكين لأنقذ الحوذى أجره

(ينهى ظهوره المفـاجى وصوته الهـادىء غير المنتظر ، ينهى

الضـجة فى الغرفة ·· ويظل الجميع صامتين عدة ثـوان مثبتين أبصارهم عليه)

(يلاحظ نيـل ذلك الأثـر على وجوههم فيفهم الأمر بسرعة فيقول وهو يبتسم ابتسامة اشفاق) آها ·· عدتم للشجار من جديد ؟

بيسيمينوف : (بغلظة) أنت أيها الزنديق ·· الى أين أنت ذاهب !

نيل : ماذا ؟ الى أين ؟

بيسيمينوف : الى أين بغطاء رأسك هذا ·· انزعه !

اكولينا ايفانوفنا : حقا ما هـذا ؟ أتقتحم المنزل هكذا قـذرا ·· يا للجسارة !

نيل : هلا أعطيتمونى كابيكين أولا ؟

بيوتر : (يناوله النقود ويهمس) ·· عد الى هنا بسرعة !

نيل : (بابتسامة) للنجدة ؟ الموقف صعب ! حالا !

بيسيمينوف : أنظروا ·· اليكم هذا ·· انه أيضا يفعل كل شىء بعنف وعلى عجل ·· لقد شرب هو أيضا شـيئا ما ·· فى مكان ما ·· لا يكن احتراما لأى شىء فى الدنيا ··

اكولينا ايفانوفنا : (تحاكى نبرة زوجها) حقا ·· ياله من شقى ! اذهبى ياتانيا ·· اذهبى الى المطبخ ·· قولى لستيبانيدا أن تعد الغـذاء ··

(تنصرف تاتيانا)

بيسيمينوف : (يبتسم بكآبة) والى أين سترسلين بيوتر ؟ آه ·· يا لك من عجوز حمقاء ! أنت ! افهمى ·· لست وحشا ··

اننى أقول لهم هذا من قلبى ·· من خوفى عليهم ·· اننى أصرخ من الألم الذى يحز فى نفسى ·· وليس من الغضب ·· لماذا تبعدينهم عنى ؟

اكولينا ايفانوفنا : اننى أعلم يا عزيزى ·· أعلم كل شيء ·· ولكننى أشفق عليهم ·· أنا وأنت عجوزان ·· اننا مملان ·· يا الهى ·· ما نفعنا ·· أما هم فيريدون الحياة ·· كم من المصائب سيحل بهم من الغير ·· هؤلاء الأحباب ··

بيوتر : أبى ·· عبثا ما تفعله يا أبى ·· لم القلق ؟ ·· لقد تخيلت شيئا ما ··

بيسيمينوف : اننى خائف ·· فهذا الزمن ·· مخيف ·· كل شيء يتهاوى ويتحطم ·· الحياة تضطرب ·· اننى خائف عليك ·· ربما يحدث لنا شيء ·· فمن يأخذ بيدنا فى آخر أيامنا ؟ أنت عمادنا ·· اليك مثلا نيل انظر أى انسان هو ؟ والآخر ··ذلك العصفور ·· تيتريف هذا ·· أيضا ! حاذر منهم يا بيوتر ·· انهم لا يحبوننا ·· حاذر !

بيوتر : كفاك يا أبى ·· لن يحدث لى شيء ·· سأنتظر قليلا ثم أقدم التماسا ·

اكولينا ايفانوفنا : قدم يا بيتيا بسرعة ·· لكى يطمئن أبوك ··

بيسيمينوف : اننى أثق فيك يا بيوتر عندما تتكلم هكذا ·· بجدية ·· وحكمة ·· أثق أنك ستعيش الحياة ليس بأسوأ مما عشتها أنا ·· ولكن أحيانا ··

بيوتر : دعنا اذن من هذا يا أبى ·· كفانا ·· أنظر كيف تتكرر هذه المشاهد عندنا يا أبى ؟

اكولينا ايفانوفنا : يا أحبائى !

بيسيمينوف : وتاتيانا أيضا ·· آه ! فلتدع عنها مدرستها هذه ·· ماذا جنت منها ؟ لا شيء الا التعب ·

بيوتر : نعم ·· انها بحاجة الى الراحة ··

اكولينا ايفانوفنا : آه ·· فعلا ··

نيل : (يدخل وقد خلع ملابسه وارتدى قميصا أزرق ، ولـكنه لم يغتسل بعد) هل سنتغدى قريبا ؟ هه ؟

ينصرف بيوتر الى المدخل بسرعة عندما يرى نيل)

بيسيمينوف : اغسل سحنتك أولا ثم تحدث عن الطعام !

نيل : سحنتى ليست كبيرة سـأغسـلها بسرعة · ولكنى جائع كالذئب ··فالمطر والريح ·· والبرد ·· والقاطرة قديمة ·· كهنة ·· لقد ذقت الأمرين فى تلك الليلة ·· خارت قواى ·· لو أن رئيس الحركة قاد قاطرة كهذه فى جو كهذا ··

بيسيمينوف : استمر فى الثرثرة ·· اننى أرى أنك أصبحت تتحدث بسهولة عن الرؤساء ·· حاذر والا ساء الأمر

نيل : الرؤساء لا يصيبهم سوء ··

اكولينا ايفانوفنا : الأب لا يقصد الرؤساء بل يقصدك أنت ·

نيل : آها ! ·· يقصدنى أنا ··

بسيمينوف : نعم ·· أنت ··

نيل : آ ها !

بيسيمينوف : لا تتأوه ·· بل اسمع · ·

نيل : اننى أسـمع ··

بيسيمينوف : لقد أصبحت متغطرسا ··

نيل : منذ زمن ؟

بيسيمينوف : اياك أن تجسر على الكلام معى بهذا اللسان ؟

نيل : وأنا ليس لدى الا لسان واحد (يخرج له لسانه ليريه اياه) وبه أتكلم مع الجميع ..

اكولينا ايفانوفنا : (تقبض يديهـا) يا لك من داعر ! لمن تخرج لسانك ؟

بيسيمينوف : مهلا أيتها الأم ، انتظرى .

(تنصرف اكولينا ايفانوفنا وهى تهز رأسها بتأنيب)

أنت .. أيها الذكى .. اننى أريد أن أتحدث معك .

نيل : بعد الغداء ؟

بيسيمينوف : الآن !

نيل : من الأفضل بعد الغداء .. صدقنى اننى جائع وتعب وأشعر ببرد .. اصنع معروفا وأجل الحديث .. ثم ما الذى يمكنك أن تقوله لى ؟ سوف تسـب .. وأنا لاأحس بالسرور فى تبادل السباب معك .. من الأفضل أن .. أن تقول مباشرة أنك لم تعد تطيق وجودى .. وأنه على أن ..

بيسيمينوف : فليخطفك الشيطان ! (ينصرف الى غرفته ويغلق خلفه الباب باحكام وقوة)

نيل : (متبرما) رائع .. الشيطان أحسن منك .. (يروح ويجىء فى الغرفة وهو يدندن بأغنية)

(تدخل تاتيانا)

هل كنتم اذن تتشاجرون ؟

تاتيانا : انك لا تستطيع أن تتصور ..

نيل : أوه ! اننى أتصور جيدا .. لقد كنتم تمثلون مشهدا دراميا من كوميديا عادية بعنوان « لا هذا ولا ذاك » ..

تاتيانا : من السهل عليك أن تقول هذا .. فأنت تستطيع التنحى جانبا ..

نيل : بل اننى أستطيع أن أدفع عنى جانبا كل هذه الأمور وقريبا سادفعها بحزم .. والى الأبد .. سأنتقل الى الورش – عامل صيانة .. لقد سئمت السفر كل ليلة مع قطارات البضاعه .. لو كانت قطارات ركاب .. أو – قطارات طوالى مثلا .. أما – قطارات البضاعة فتزحف بك أنت والوقاد .. يا للملل ! اننى أحب أن أكون بين الناس ..

تاتيانا : ومع ذلك فأنت تهرب منا ..

نيل : نعم .. اعذرينى اذا قلت الحقيقة .. لا مفر من الهرب .. اننى أحب الحياة .. أحب الضجيج ، والعمل .. أحب الناس المرحين البسطاء .. فهل أنتم تعيشون ؟ انكم تتسكعون بجوار الحياة .. ودون ما سبب معلوم تئنون وتشكون .. ممن .. ولماذا .. ولأى غرض ؟ لا أحد يفهم .

تاتيانا : ولا أنت تفهم ؟

نيل : ولا أنا .. عندما يكون النوم على أحد الجنبين متعبا . فان الانسان ينقلب على جنبه الآخر .. وعندما تكون الحياة متعبة . فانه يشكو فقط .. هيا ، تحاملى على نفسك وتحولى الى الجنب الآخر

تاتيانا : أتدرى .. لقد قال أحد الفلاسفة ان الحياة لا تبدو بسيطة الا للشخص الغبى .

نيل : لابد أن الفلاسفة يفهمون جيدا فى الغباء ... ولكننى لاأعتبر نفسى ذكيا... اننى فقط أشعر أنالحياة معكم لسبب ماممملة بصورة لا تطاق ... ربما لأنكم تحبون الشكوى من كل شيء ... لماذا الشكوى ؟ من سيساعدكم ؟ لا أحد ... ولا يوجد أحد ... و ... ولا داعى !

تاتيانا : من أين لك هذه .. الخشونة يا بيل ؟

نيل : وهل هذه خشونة ؟

تاتيانا : بل قسوة ... أعتقد أنها عدوى من تيتريف . الذى يحقد على الجميع لسبب ما ...

نيل : ليس على الجميع ... (بسخرية) ... ألا يبدو أن تيتريف يشبه الفأس ؟

نيل : فأس عادية ... حديدية .... ولها مقبض من الخشب

تاتيانا : كلا .... لا تمزح ... لا داعى ... اننى أشعر بالراحة عندما أتحدث معك .. فانك تبدو نقيا ... غير أنه ... يعوزك ... الاهتمام ....

نيل : بماذا ؟

تاتيانا : بالناس .. بى مثلا ...

نيل : ربما ليس بالنسبة للجميع .

تاتيانا : بالنسبة لى ....

نيل : بالنسبة لك ؟ ... نعم .

(يصمت كلاهما . نيل يتفحص حذاءه .. تاتيانا تنظر اليه متوقعة شيئا ما)

في الحقيقة أنت بالنسبة لي أقصـــد أنني .... (تنم عن تاتيانا حركة في اتجاه نيل ولكنه لا يلاحظ ـ شيئا احترمك جدا ... وأحبك ... ولكن الذي لا يعجبني هو لماذا أنت مدرسة ؟ ان هذا العمل لا يروقك . بل يرهقك ويثيرك... مع أنه عمل عظيم ! أليس الأولاد هم رجال المستقبل .... يجب على الانسان أن يعرف قيمتهم ... ويحبهم أتدرين .. انني مولع بطرق الحديد ... عندما تجد أمامك كتلة حمراء شريرة ، تكوى ... لا شـــكل لها .... فتهوى عليهـا بالمطرقة ... يا للمتعة ! انها تبصق عليك بصـقات نارية لها أزيز .. تريد أن تكوى عينيك .. تســلب بصرك .. تلقى بك بعيدا عنها .. انها حيـــة .. مرنة .. ثم هأنتـذا تهوى عليها بضربات قوية فتصنع منها كل ما تريد ....

تاتيانا : لكى تصنع هذا لابد أن تكون قويا ...

نيل : وماهرا ...

تاتيانا : اسمع يا نيل .. ألم يراودك أبدا شعور بالشفقة ؟

نيل : على من ؟

يلينا : (تدخل) هل تناولتم الغداء ؟ كلا ؟ اذن تفضلوا عندى.. أى كعكة صنعتها ! أين وكيل النيابة ؟ انها كعكة رائعة !

نيل : (يقترب من يلينا) انى قادم ... أوه ... سألتهم الكعكة الرائعة كلها ... انني أموت من الجوع ... وهم هنـا لا يطعموننى عمدا .... لقد غضبوا منى لسبب ما ...

يلينا : ربما بسبب لسانك ... هيا بنا يا تانيا !

تاتيانا : فقط سأخبر أمي ... (تنصرف)

نيل : كيف عرفت أنني أخرجت لساني للأب ؟

يلينا : ماذا ؟ أنا لا أعرف شيئا ... ماذا هناك ؟

نيل : حسنا ... لن أخبرك ... من الأفضل ان تحدثيني أنت عن الكعكة الرائعة .

يلينا : سوف أعرف ماذا حدث .. أما عن الكعكة .. أتدرى ... لقد علمني صناعة الكعك أحد المساجين الذين حكم عليهم في جريمة قتل ... وقد استدعاه زوجي لمساعدتي في الطهو كم كان بائسا ... ونحيلا !

نيل : زوجك ؟

يلينا : أيها السيد الموقر ... لقد كان طول زوجي اثنى عشر شبرا .

نيل : أكان « واطيا » الى هذا الحد ؟

يلينا : اخرس ... وكان شاربه هكذا (تشير بأصابعها الى طول شواربه) كل شارب طوله ثلاثة أشبار ...

نيل : لأول مرة أسمع عن انسان تقاس مزاياه بالأشبار !

يلينا : يا للحسرة ... لم تكن له أى مزايا غير شواربه !

نيل : هذا أمر محزن ... واصلى الحديث عن الكعكة ...

يلينا : انه ، أى هذا السجين ، كان طاهيا ... وكان قد قتل زوجته ... ولكنى كنت معجبة به جدا ... لقد قتلها هكذا ...

نيل : بينما كان يمارس عمله العادى ... مفهوم !

يلينا : أغرب عن وجهى ... لست راغبة فى الحديث معك .

(تظهر تاتيانا فى الباب وتنظر اليهما . ومن الباب الآخر يخرج بيوتر) ياوكيل النيـــابة ... هيا الى ... عندى كعكة !

بيوتر : بكل سرور .

نيل : لقد عنفه أبوه اليوم لعدم احترامه له ...

بيوتر : كفى ...

نيل : وانى لأعجب كيف يجرؤ على الذهاب اليك دون أخذ اذن !

بيوتر : (ينظر باضطراب الى باب غرفة الوالدين) ليكن ... فلنذهب !

تاتيانا : اذهبوا ... سآتى حــالا ...

(ينصرف نيل وبيوتر ويلينا . تذهب تاتيانا الى غرفتهــا ولكن فى هذه اللحظة يدوى صوت الأم فى غرفة الوالدين)

اكولينا ايفانوفنا : تانيا !

تاتيانا : (تقف وتهز كتفيها بضيق) ماذا ؟

اكولينا ايفانوفنا : (فى الباب) تعالى (تكاد تهمس) ماذا ... هل ذهب اليها بيتروشا مرة أخرى ؟

تاتيانا : نعم ... وأنا سأذهب ...

اكولينا ايفانوفنا : آه ... يا مصيبتنا الكبيرة ! ســـتوقعه تلك اللعوب فى شباكها ... اننى أحس بذلك ... هلا نصحته يا تاتيانا ... قولى له ابتعد عنها يا أخى ... أو ما شـــابه ذلك ... انها ليست أهلا لك . هلا قلت له ! ان كل ما لديها من المــال ثلاثة آلاف فقط ثم معاش زوجها .. اننى أعرف ..

تاتيانا : دعك من هذا يا ماما ·· يلينا لا تلقى بالا الى بيوتر ···

اكولينا ايفانوفنا : انها تفعل ذلك عمدا ··· لكى تشـــعل فيه الغيرة ··· الفاجرة ··· انها تتصنع عدم الاهتمام به ولكنها تراقبه كما تراقب القطة العصفور ···

تاتيانا : آه ··· ومالى أنا ··· مالى أنا وهذا ؟ قولى له أنت ··· دعينى ··· افهمى ··· لقد تعبت !

اكولينا ايفانوفنا : لا تتحدثى معه الآن ··· اذهبى لكى تستلقى وتستريحى ·

تاتيانا : (تكاد تصرخ) ليس هناك مكان أستريح فيه !! اننى متعبة الى الأبد ··· الى الأبد ··· أتفهمين ؟ طوال حياتى ··· تعبت منكم ··· من كل شيء (تهرول الى المدخل)

تتحرك اكولينا ايفانوفنا تجـاه ابنتهـا كما لو كانت تريد ايقافها ولكنها تسقط ذراعيها وتقف فى مكانها وقد فغرت فاها استغرابا)

بيسيمينوف : (ينظر من الباب) أهو شجار آخر ؟

اكولينا ايفانوفنا : (تتنفض) كلا ··· لا شيء ··· هكذا ···

بيسيمينوف : ماذا هكذا ؟ هل أغلظت لك القول ؟

اكولينا ايفانوفنا : (بعجلة) كلا ··· لا شيء ··· ما هذا الذى تقول ؟

كنت أقول لها : حان وقت الغداء ··· فقالت : لا أريد ··· فقلت : كيف لا تريدين ··· فقالت ····

بيسيمينوف : انك تكذبين أيتها الأم !

اكولينا ايفانوفنا : انها الحقيقة !

بيسيمينوف : لماذا تكذبين على ؟ حدقى فى عينى! لا تستطيعين ٠٠٠ ايه ٠٠٠ ايه ٠٠٠ !

(اكولينا ايفانوفنا تقف أمام زوجها صامتة مطأطأة الرأس ٠ هو أيضا يصمت ويمسح ذقنه بتفكير ، ثم يتنهد ويقول) كلا ٠٠٠ لقد أخطأنا عندما دفعناهم الى التعليم ليكون حاجزا بيننا وبينهم ٠

اكولينا ايفانوفنا : (بصـــوت خافت) كفى أيها الأب ٠٠٠ ان البسطاء الآن ـ ليسوا أفضل ٠٠٠

بسيمينوف : لا يجب مطلقا أن تعطى لأولادك أكثر ممـــا تملكه أنت ٠٠٠ وأكثـر ما يحزننى أننى لا أرى فيهم ٠٠٠ أى شخصية ٠٠٠ أى شىء صلب ٠ كل انسان يجب أن يكون فيه شىء ما خاص به ٠٠٠ ولكن أولادنا هكذا ٠٠٠ كما لو كانوا بدون وجوه اليـــك نيل ! انه صفيق ٠٠٠ أفاق ٠٠٠ ولــكنه رجل ذو وجه ٠٠ انه خطـير ٠٠ ولــكن يمـكنك أن تفهمه ٠٠٠ ايه هيه هيه !

أنا مثلا ٠٠٠ كنت فى صـــباى أحب الغنــاء الكنسى ٠٠٠ وأحب جمع الفطر ٠٠٠ فماذا يحب بيوتر ؟

اكولينا ايفانوفنا : (تتنهد وتقول بخجل) لقد ذهب الى الساكنة !

بيسيمينوف : هكذا ! صبرا ٠٠٠ سأريها ٠

(يدخل تيتريف عليه أثار النوم وأكثر كآبة من المعتاد ٠ فى يده زجاجة فودكا وكأس) ٠

هل عدت الى الشراب من جديد يا تيرينتى خريسا نفوفيتش؟

تيتريف : عدت أمس ··· بعد صلاة المساء ···

بيسيمينوف : ولماذا ؟

تيتريف : بلا سبب ·· هل سنتغدى قريبا ؟

اكولينا ايفانوفنا : سأعد المائدة حالا (تأخذ فى الاعداد) ·

بيسيمينوف : ايه يا تيرينتى خريسانفوفيتش ··· انك انسان ذكى ···· ولكن الفودكا تقضى عليك !

تيتريف : أيها البرجوازى المحترم ··· انك تكذب ··· ليست الفودكا هى التى تقضى على ، بل قوتى ··· فائض القوة ·· هذا هو هلاكى ·

بيسيمينوف : لا توجد قوة زائدة عن الحاجة ···

تيتريف : هأنتذا تكذب مرة ثانية ··· القوة الآن لا نفع منها ··· انما المطلوب هو المهارة والمكر ··· المطلوب هو مرونة الثعبان (يشمر عن ساعده ويبرز قبضته) انظر ··· لو أننى ضربت المنضدة بهذه فسأحطمها تحطيما ·· ولكن هاتين اليدين لا تقع منهما فى الحياة ··· قد أستطيع قطع الأخشاب ولكن لا يمكننى مثلا ، بل من المضحك ··· ان اكتب ··· ليس من سبيل لاستغلال قوتى ··· يمكننى ان أجد مكانا يناسب مواهبى فى السوق فقط حيث أمزق السلاسل أو أرفع الكرات الحديدية ··· الخ · ولكنى كنت أدرس ··· كنت متفوقا فى دراستى ··· ولهذا طردت من المدرسة الدينية · ولقد كنت أدرس ولا أريد أن أعيش حياة مظهرية ···لا أريدك حينما تأتى الى السوق أن تقف وتنظر الى بلذة هادئة · اننى أريد أن ينظر الى الجميع فيشعرون بالغضب والاضطراب ···

بيسيمينوف : انك لشرير ...

تيتريف : الحيوانات التى فى مثل حجمى لا تكون شريرة ... أنت لا تفقه شيئا فى علم الحيوان ... الطبيعة ماكرة ، فلو أنها أضافت الى قوتى الشر ، فلن تجد لك مهربا منى

بيسيمينوف : ولماذا أهرب ... اننى فى بيتى

اكولينا ايفانوفنا : هلا سكت أيها الأب !

تيتريف : صدقت ! أنت فى بيتك ... كل حياتك هى بيتك . هى بناؤك هـذا .. ولهذا فلا مكان لى أعيش فيـه أيهـا البرجوازى !

بيسيمينوف : انك تحيا عبثا ... فلو كنت تريد ...

تيتريف : لا أريد أن أريد ، لأننى أبغض هذا ... اننى أفضل أن أدمن الخمر وأهلك على أن أعيش وأعمل لك ولأمثالك .. هل نسـتطيع أيها البرجوازى أن تتخيلنى غير مخمور ، مهندم الثياب ، أتحدث اليك بلغة خادمك وعبـدك ؟ كلا لا تستطيع (تدخل بوليا وعندما ترى تيتريف تتقهقر الى الخلف تيتريف يراها فيبتسم ابتسامة عريضة ويهز رأسه ويقول لها مادا اليها يده)

آهلا وسهلا ولا تخشى شيئا .. لن أقول لك بعد شيئا فقد عرفت كل شىء !

بوليا : (بخجل) ماذا ؟ لا يمكنك أن تعرف شيئا ...

اكولينا ايفانوفنا : آه ، وصلت ! اذن ، هيا قولى لستيبانيدا تحضر الحساء ....

بسيمينوف : حان وقت الغـداء (مخاطبا تيتريف) اننى أحب

الاستماع اليك عندما تتفلسف ••• انك موفق بشكل خاص عندما تتحدث عن نفسك • اسمع ، حينما أنظر اليك تبدو لى مخيفا ، ولكن عندما تبدأ تطرح أفكارك أحس بنقطة الضعف فيك (يضحك بارتياح وبصوت خافت)

تيتريف : وأنت أيضا تعجبنى لأنك ذكى فى الحدود ، وغبى فى الحدود ، طيب فى الحدود ، وشرير فى الحدود ، وشريف ووغد فى الحدود ، جبان وشجاع فى الحدود ••• أنت مثال للبرجوازى الصغير ! لقد تجسدت فيك تماما الحقارة ••• تلك القوة التى تقهر حتى الابطال وتعيش هى ••• تعيش وتزدهر •• فلنشرب قبل الحساء يا حيوان الخلد الموقر !

بيسيمينوف : عندما يحضر الحساء سنشرب • ولكن قل لى ، لماذا تسبنى ؟ لا داعى لاغضاب الناس بلا سبب • ولكن يجب أن تتحدث باختصار ، وترابط حتى يصبح الاستماع اليك شيقا ••• أما اذا أخذت تحرج الناس بكلماتك فلن يصغى اليك أحد ، ومن يفعل فهو أحمق •

نيل : (يدخل) هل جاءت بوليا ؟

تيتريف : (ساخرا) جاءت •••

اكولينا ايفانوفنا : وماذا تريد منها ؟

نيل : (لا يرد عليها • متوجها الى تيتريف) أها ! شربت ؟ مرة أخرى ؟ لقد أخذت تكثر من •••

تيتريف : شرب الفودكا أفضل من شرب دم الناس خاصة وان دمهم الآن قليل الكثافة مقزز ! وبلا طعم •• ان الدم الحقيقى اللذيذ الطعم أصبح قليلا •• لقد امتصوه ••

(تدخل بوليا وستيبانيدا · ستيبانيدا تحمل الصحفة وبوليا طبقا به اللحم)

نيل : مرحبا ··· هل الرد جاهز ؟

بوليا : ليس الآن ··· ليس أمام الجميع

نيل : يا للأهمية ! مم الخوف ؟

بيسيمينوف : عمن تتحدث فى الخوف ؟

نيل : عنى ··· وعنها ···

أكولينا ايفانوفنا : ماذا هناك ؟

بيسيمينوف : لست أفهم ···

تيتريف : (بسخرية) أما أنا فأفهم (يصب كأساً من الفودكا ويشرب)

بيسيمينوف : ماذا هناك ؟ ماذا بك يا بالاجيا ؟

بوليا : (يخجل وبصوت خفيض) لا شىء ···

نيل : (يجلس الى المائدة) انه سر ··· سر ···

بيسيمينوف : مادام الامر سرا فتحدثا عنه فى أحد الأركان وليس أمام الجميع ··· ان هذا فى رأيى سخرية بنا ··· شىء لا يطاق ··· من حولك تتبادل اشارات ··· وأنصاف كلمات ··· ومؤامرات ··· بينما تجلس أنت كالاحمق تهز أذنيك ··· اننى أسألك يا نيل من أنا بالنسبة لك ؟

اكولينا ايفانوفنا : حقا يا نيل ··· ما هذا ؟

نيل : (بهدوء أنت أبى الذى تبنانى ·· ولكن لا داعى للغضب وتهويل الأمر ··· لم يحدث أى شىء ···

بوليا : (تنهض من الكرسى الذى جلست عليه لتوها) نيل ٠٠٠ فاسيليفتش قال لى ٠٠٠ عرض على ٠٠٠ بالأمس مساء سألنى ٠٠٠

بيسيمينوف : ماذا سألك ؟ قولى ! ٠

نيل : (بهدوء) لا ترعبها ٠٠ لقد سألتهـــا ٠٠ ان كانت تقبلنى زوجا ٠ (ينظر بيسيمنوف بدهشة اليه والى بوليا والمعلقه معلقة بيـــده فى الهواء ٠ اكولينا ايفانوفنا تصلبت هى الأخرى مكانها ٠ تيتريف يحدق أمامه ويطرف بعينيه بتثاقل ويرتعش ساعده الملقى على ركبتيه ٠ تنكس بوليـــا رأسها بشـــدة)

(مواصلا كلامه) وقد ردت بأنها ستعطينى الجواب اليوم ٠٠٠ هذا هو كل ما فى الأمر ٠٠٠

تيتريف : (ملوحا بيده) بكل بساطة ٠٠ ولا شىء أكثر ٠٠

بيسيمينوف : هـ ٠٠٠ كذا ! حقـــا ٠٠٠ بـكل بســاطة ٠٠٠ (بمرارة) موضة ٠٠٠ وبطريقة عصرية ٠٠٠ وعلى العموم ، ماذا فى ذلك ؟

اكولينا ايفانوفنا : شيطان أنت ٠٠٠ أيها الفاجر ٠٠٠ ألم يكن من الواجب أن تخبرنا بذلك أولا ؟

نيل : (بأسى) يالها من زلة لسان !

بيسيمينوف : دعيك من هذا أيتها الأم ! لا دخل لنا بذلك ٠٠٠ كفى وأنت صامته ٠٠ وأنا كذلك سأصمت ٠٠٠

تيتريف : (وقـــد انتشى) أما أنا فسأتـكلم ٠٠٠ وعـلى العموم فسأصمت مؤقتا ٠٠٠

بيسيمينوف : نعم ··· من الافضل أن يصمت الجميع ··· ومع ذلك فانك يا نيل تجحـــد خبزى وملحى ·· وترتب أمورك خلســـة !

نيل : لقد دفعت لك ثمن خبزك وملحك عملا ، وســأظل أدفع مستقبلا ، ولكنى لا أستطيع الخضوع لرغبتك · لقد أردت أن تزوجنى بسيدوفا الحمقاء وذلك فقط لان لها « دوطة » عشرة آلاف روبل ، فماذا أفعل بها ؟ اننى أحب بوليا ··· أحببتها منذ زمن طويل ولم أخف حبى عن أحد ··· لقد عشت دائما كذلك · فليس هناك · ما تلومنى عليه ، كذلك لا سبب لغضبك ·

بيسيمينوف : (بتحفظ) هكذا ، هكذا ! حسن جدا ·· حسنا ·· تزوجا · لن نقف فى ســـبيلكما ··· ولكن بأى نقود ستعيشان ؟ أخبرانى ! اذا لم يكن الأمر سرا ···

نيل : سنعمل ··· سأنتقل أنا الى الورش ··· أما هى ··· هى أيضا سيكون لديها عمل ·· وسوف تتقاضى أنت منى ثلاثين روبلا كما فى السابق ···

بيسيمينوف : سنرى ··· ان الوعود سهلة ···

نيل : خذ على ايصالا بذلك ···

تيتريف : أيها البرجوازى ، خذ منه ايصالا ··· خذ !

بيسيمينوف : لم يطلب منك أحد التدخل فى هذا الشأن ····

اكولينا ايفانوفنا : يا له من ناصح !

تيتريف : كلا ·· خذ منه ! أم ترى ضميرك لا يطـاوعك أن تأخـذ منه ! اعطه اقرارا يا نيل بأنك تتعهد كل شهر ···

بيسمينوف : اننى أستطيع أن آخذ منه اقرارا .. فهناك ما يؤخذ عليه اقرار فيما أرى ... لقد أطعمته وسقيته وكسوته منذ أن كان عمره عشر سنوات ... حتى السابعة والعشرين ... نعم !

نيل : أليس من الأفضل أن نؤجل الحساب الى وقت آخر ؟

بيسيمينوف : من الممكن ذلك . (ينتفض فجأة) ولكن تذكر يا نيل ... من الآن فصاعدا أنت عدوى وأنا عدوك ... لن أغفر لك هذه الاساءة ... لا أستطيع ... فلتعلم هذا !

نيل : أية اساءة ؟ فيم الاساءة ؟ أظن أنك لم تكن تنتظر منى أن أتزوجك ؟

بيسيمينوف : (يصرخ ولا يصغى اليه) تذكر ... هذه السخرية بمن أطعمك وسقاك ... بلا اذن ... بلا مشورة ... وسرا ... وأنت ! أنت أيتها الوديعة ... الهادئة ... لماذا تنكسين رأسك ؟ هه أتصمتين ؟ هل تعرفين أننى أستطيع أن أجعلك ...

نيل : (ينهض من الكرسى) لا تستطيع شيئا ... كفى ضجيجا ... اننى أيضا سيد هنا ... لقد ظللت أعمل عشر سنوات وأعطيتكم كل مرتبى ... ان ما وضعته هنا (يدق بقدمه على الأرض ويشير الى ما حوله . بحركة واسعة من يده) ليس بالقليل . السيد هنا هو من يكدح ...

(أثناء حديث نيل تنهض بوليا وتنصرف . يقابلها عند الباب بيوتر وتاتيانا . يطل بيوتر فى الغرفة ثم يختفى . تقف تاتيانا بالباب ممسكة بالعارضة العليا للباب)

بيسيمينوف : (يحملق في نيل بذهول) كيف ؟ سيد ؟ أنت ؟..

أكولينا ايفانوفنا : فلنذهب أيها الأب ... لنذهب .. أرجوك فلنذهب ...

(تهدد نيل بقبضتها) حسنا يا نيل .. حسنا .. صبرا ... سترى !

نيل : (باصرار) نعم السيد هنا هو من يكدح ... تذكر ذلك ..

أكولينا ايفانوفنا : (تسحب خلفها زوجها) هيا أيها العجوز .. هيا الله معهما ... لا تتكلم ... لا تصرخ ... من سيسمعنا ؟

بيسيمينوف : (يستسلم لزوجته) حسنا ... ابق هنا أيها السيد سنرى من السيد ... سوف نرى (يذهب الى غرفته)

(يذرع نيل الغرفة باضطراب . يسمع صوت بيانولا آت من شارع بعيد)

نيل : ما هذا الذى فعلته ؟! أى شيطان دفعنى ان أسألها ... يا لى من أحمق ! اننى لا أستطيع مطلقا أن أخفى شيئا .. كل شيء يقفز الى لسانى رغما عنى ! تبالى ...

تيتريف : لا بأس ... لقد كان مشهدا رائعا .. كنت أسمع وأنظر بلذة كبيرة ... فعلا ... شيء طيب ... لا تقلق يا أخى ... لديك مواهب ... بوسعك أن تلعب أدوار البطولة ... صدقنى ... ان البطل مطلوب فى هذه الفترة ... كل الناس فى زماننا هذا يجب أن ينقسموا الى أبطال وهم البلهاء ، والى أنذال وهم الأذكياء ...

بيلي : لماذا جعلت بوليا تتحمل هذا ·· القرف ؟ لقد فزعت ···
كلا ··· انها ليست جبانة ·· غضبت ربما ··· تفو !

(عندما تسمع تاتيانا الواقفة بالباب اسم بوليا تتحرك ·
تصمت البيانولا)

تيتريف : ومن السهل جدا تقسيم الناس الى حمقى وأوغاد ···
الأوغاد لا حصر لهم ! انهم يعيشون يا أخى بعقليـــة الوحوش
ولا يؤمنون الا بحقيقة القوة ··· وهذه القوة ليســـت
توتى ··· ليست تلك القوة التى فى صدرى أو يدى ···
بل قوة الدهاء ··· ان الدهاء هو عقل الوحش ···

نيل : (لا ينصت اليه) لا بد الآن من الاسراع بالزواج ····
حسنا ··· فلنسرع · ولكنها لم تعطنى جوابها بعد ···
ليكن ··· اننى أعرف ماذا ستقول ··· يا فتاتى الرقيقة !
كم أكره هذا الرجل ··· هذا المنزل ··· وهـــذه الحياة
كلها ··· هذه الحياة العفنة ··· الجميع هنا مخلوقات
شائهة ·· ولا أحد فيهم يشعر أنهم هم الذين يشـــوهون
الحياة ويجعلونها تافهة ··· انهم يصنعون منها لأنفسهم
سجنا ··· أشغالا شاقة ··· شقاء ··· كيف يستطيعون
صنع هذا ؟ لست أفهم ! ··· ولكنى أمقت أولئك الذين
يشوهون الحياة ···

(تخطو تاتيانا خطوة الى الأمام ثم تقف تتجه الى الصــندوق
فى الركن وتجلس عليه دون أن يصدر عنها أى صوت ·
تتكور على نفسها فتبدو صغيرة وأكثر مدعاة للشفقة) ·

تيتريف : الحياة يزينها البلهاء ··· والبلهاء ليسوا كثيرين ···
انهم دائما يبحثون عن شىء ليســـوا بحاجة اليه ···

ولا غيرهم كذلك ••• وهم يحبون أن يخترعوا مشاريع للسعادة العامة وما شابه ذلك من الهراء ••• يريدون أن يجدوا بداية ونهاية وكل شيء ••• وعموما فانهم يصنعون الحماقات •••

نيل : (بتفكير) نعم ، حماقات ••• اننى ماهر فى صنع ذلك •• أما هى ••• فأرشد منى ••• انها أيضا تحب الحيـاة ••• تحبها حبا واعيا ••• هادئا ••• أتدرى ••• ستكون حياتنا معا رائعة ••• كلانا شجاع ••• واذا ما أردنا شيئا فسنحصل عليه ••• نعم سنحصل عليه معا ••• انهـا تشبه مولودا جديدا (يضحك) ستكون حياتنا معا رائعة !

تيتريف : ان الأبلة يستطيع أن يضيع حياته متســـائلا : لماذا الزجاج شفاف •• أما الوغد فببساطة يصنع منه القوارير ••

(يتردد من جديد صوت البيانولا فى هذه المرة قريبا تحت النوافذ)

نيل : أوه ، أما زلت تتحدث عن القوارير ؟!

تيتريف : كلا ، بل عن البلهاء • ان الأبله يسأل نفسه أين النار عندما تكون مشـــتعلة ، وعندما تنطفى ، الى أين تذهب ؟ أما الوغد فيجلس الى النار ويستمتع بالدفء •••

نيل : (بتفكير) نعم •••• الدفء •••

تيتريف : وفى الواقع كلاهما أبله ••• غير أن أحدهما أبله بطريقة جميلة ••• بطولية ••• أما الآخر فأحمق ببلاده •••• بانحطاط ••• ومع أن كلا منهما يسلك طريقا مختلفة عن الاخر ، الا أنهما يصلان الى مكان واحد ••• القبر ، القبر فقط يا صديقى ••• (يقهقه)

(تاتيانا تهز رأسها بهدوء)

نيل : (ليتريف) ما بالك ؟

تيتريف : انى أضحك ... ان من يبقى حيا من البلهـاء ينظر الى آخيه الميت ويتساءل : أين هو ؟ أما الأوغاد فببساطة يرثون تركة المرحوم ويواصلون حياة الدفء ... حياة الشبع .. حياة الراحة ... (يقهقه)

نيل : لقد أصبحت ثملا تماما ... ألا تذهب الى غرفتك ؟

تيتريف : أرني أين هى ؟

نيل : لا تدعى البلاهة ... هل تريد أن أوصلك ؟

تيتريف : لن تسحبنى من ذراعى يا أخى ... فليست لى صلة قرابة لا بالمتهم ولا بالمجنى عليـه .. اننى قائم بذاتى ! اننى الدليل المادى على الجريمة ! الحياة مشوهة ! وقـد حيكت بطريقة منفرة ... اننى أقول لك أن الحياة لم تصنع حسب مقاس الناس الكرام . لقد ضـيقها البرجوازيون وقصروها ... وهأنذا دليـل مادى على أن الانسـان لا مكان له فى الحياة وليس لديه ما يعيش به أو من أجله ... !

نيل : حسنا ... هيا ... هيا ...

تيتريف : دعنى ... أتظن أننى قد أسقط ؟ كم أنت عجيب ! لقد سقطت ومنذ زمن بعيد ! وعلى العموم فقد فـكرت أن أنهض ولكنك مررت بجوارى ، ودون أن تلاحظ وعن غير ماقصد دفعتنى ! لا بأس ، سر فى طريقك ... سر ... اننى لا أشكو ... أنت معافى وجدير بالتقدم الى أى مكان تشاء وكيفما تشاء ... أما أنا ، الساقط ، فأشيعك بنظرة تأييد ... سر !

نيل : عم تثرثر ؟ انك تقول شيئا مسليا ٠٠ ولكنه غير مفهوم ٠٠

تيتريف : لاتفهم ! لا داعى ! هناك بعض الأمور يستحسن ألا تفهمها ٠٠٠اذ أن فهمها لا قيمة له ٠ سر أنت ٠٠٠ اذهب !

نيل : حسنا ٠٠٠ سأذهب (ينصرف نحو المدخل دون أن يلاحظ تاتيانا المتكورة فى الركن)

تيتريف : (ينحنى مشيعا) أرجو لك السعادة أيها السارق ٠٠٠ لقد انتزعت منى دون أن تدرى آخر أمل لدى ٠٠٠ فليذهب الى الشيطان (يتجه الى المنضدة حيث ترك الزجاجة فيلاحظ فى ركن الغرفة شبح تاتيانا) من هذا فى الواقع ؟

تاتيانا : (بصوت منخفض) أنا ٠٠٠

(تنقطع فجأة أنغام البيانولا)

تيتريف : أنت ؟ آه ٠٠٠ لقد ظننت أنه تراءى لى ٠٠٠

تاتيانا : كلا ٠٠٠ بل أنا ٠٠٠

تيتريف : مفهوم ٠٠ ولكن لماذا أنت ؟ لماذا أنت هنا ؟٠٠

تاتيانا : (بصوت منخفض ولكن بوضوح) لأنه لا مكان لى وليس لدى ما أعيش به أو من أجله ٠٠٠

(يتجه تيتريف نحوها صامتا وبخطوات لا يسمع وقعها) اننى لا أدرى لماذا أشعر بهذا التعب ٠٠٠ وهذا الملل أتفهم ٠٠٠ أشعر بملل قظيع ٠٠٠ ان عمرى ثمانية وعشرون عاما فقط ٠٠٠ اننى أشعر بالخجل ٠٠٠ صدقنى ٠٠٠ بالخجل الشديد اذ أشعر أننى ضعيفة هكذا ٠٠٠ بائسة ٠٠٠ أحس فى داخلى ٠٠٠ فى قلبى ٠٠٠ بالخواء ٠٠٠ كل شىء هناك جف ٠٠٠ أحترق ٠٠٠ انى أشعر بذلك ولهذا يقتلنى الالم

... لقد حدث هذا دون أن ألاحظ ... ودون أن أشعر نما فى قلبى الخواء ... لماذا أقول لك هذا ؟

تميتريف : اننى لا أفهم ... اننى ثمل جدا ... لا أفهم بتاتا ...

تاتيانا : لا أحد يتحدث معى كما أريد ... كما أرجو ... لقد كنت آمل أنه ... سيتحدث الى ... وانتظرت طويلا ... فى صمت ... وأثناء ذلك سحقتنى هذه الحياة ... هذه المشاجرات ... هذه الحقارة ... هذه السفاسف ... هذا الضيق ... كل هـذا سحقنى دون أن أشعر ... لم تعد لى قدرة على الحياة ... وحتى يأسى أصبح عاجزا ... لقد شعرت فجأة بالخوف ... الآن ... فجأة ... شعرت بالخوف ...

تيتريف : (يهز رأسه ويتجه نحو الباب وبعد أن يفتحه قليلا ، يقول بلسان ثقيل) اللعنة على هذا المنزل ... ولا شىء أكثر ...

(تنصرف تاتيانا ببطء نحو غرفتها .. تمضى دقيقـــة فراغ وصمت تدخل بوليا بخطوات سريعة غير مسموعة وخلفهـ نيل * يمضيان نحو النوافذ فى صمت ، وهناك يمسكها نيل من ذراعها ويقول بهمس)

نيل : اغفرى لى ما حدث ... لقد حدث بغباء وكان منفرا ... ولكنى لا أطيق الصمت عندما أريد أن أتحدث ....

بوليا : (تكاد تهمس) سيان ... الآن الأمر سيان ... ماذا يهمنى منهم جميعا ؟ سيان ...

نيل : أنا أعرف أنك تحبيننى ... أرى ذلك ... ولست أسألك ... انك تضحكيننى .. بالأمس قلت لى : سأجيبك غدا ..

يجب أن أفكر ! كم أنت مضحكة ··· فيم التفكير ألست
تحبينني ؟

بوليا : نعم ··· نعم ··· من مدة طويلة !

(تاتيانا تتسلل من باب غرفتها وتقف خلف الستـــارة
وتنصت)

نيل : ستكون حياتنا رائعة ··· سترين ! أنت رفيق رقيق ···
لا تخشين الفاقة ··· وتتغلبين على المصائب ···

بوليا : (ببســـــاطة) ماذا يخشى الانسان معك ؟ نعم وان كنت
بمفردى لا أخاف ··· ولكننى وديعة ···

نيل : وأنت عنيدة أيضــــا ··· قوية لا تلينين ·· نعم ··· اننى
سعيد ··· لقد كنت أعرف أن كل شىء سيكون هكذا ···
ومع ذلك فانى سعيد ··· جدا !

بوليا : وأنا أيضا كنت أعرف كل شىء مسبقا ···

نيل : حقا ؟ أكنت تعرفين ؟ هذا حسن ·· آه ·· ما أحلى الحياة ! !
أليس كذلك ؟ ··

بوليا : نعم يا صديقى العزيز ··· يا أعز انسان !

نيل : كيف قلت ذلك ··· ما أروع ما قلت !

بوليا : لاتمتدحنى ··· يجب أن تذهب ·· يجب أن تذهب ·· ربما
يأتى أحدهم ··

نيل : فليأتوا كلهم !

بوليا : كلا ··· يجب أن تذهب ! حسنا ··· قبلنى مرة أخرى !
(تتخلص من ذراعى نيل وتجرى مارة بجوار تاتيانا دون

أن تلحظها •• يذهب نيل خلفها والابتسامة على وجهه •• يرى تاتيانا فيقف أمامها وقد أذهله وأغضبه وجودها • تصمت هي أيضا وتحملق فيه بعينين ميتتين ، وابتسامة شـــوهاء على الوجه)

نيل : (باحتقار) كنت تتنصتين ؟ كنت تتجسسين ؟ تبـــاً لك !

(تقف تاتيانا ثابتة كأنما تصلبت • يخرج نيل ويترك باب المدخل خلفه مفتوحا • تصـــل الى الغرفة صرخة العجوز بيسيمينوف القاسية ••

ستيبانيدا من بعثر الفحم ؟ ألا ترين ؟ هيا •• اجمعيه)

الفصل الثالث

(نفس الغرفة فى الصباح . ستيبانيدا تنفض الغبار عن الاثاث)

أكولينا ايفانوفنا : (تغسل أطباق الشــاى وتقول) اللحم البقرى ليس سمينا فلتفعلى الآتى : لقـــد تبقى من لحم الأمس بعض الدهن ... ضعيه اذن فى الحساء حتى يبدو دسما ... أتسمعين ؟

ستيبانيدا : اســمع ...

اكولينا ايفانوفنا : أما العجالى فحمريه ... واحذرى أن تكثرى الزيت فى المقلاة . لقد اشتريت يوم الأربعاء خمسة أرطال ، واليوم وجدت أنه لم يتبق حتى ولو رطل ...

ستيبانيدا : اذن فقد استهلكناه .

أكولينا ايفانوفنا : أعلم أننـــا استهلكناه .. أنظرى كم وضعت منه فى شعرك ... كما يستهلك الحوذى القطران ...

ستيبانيدا : ألا تحسين من الرائحة أننى أدهن شعرى بزيت الخشب المتبقى فى المصباح ؟

اكولينا ايفانوفنا : حسنا ... حسنا ...

(صـمت)

الى أين أرسلتك تاتيانا فى الصباح ؟

ستيبانيدا : الى الصيدلية لأبتاع لها محلول النشادر ··· قالت : اذهبى وابتاعى لى بعشرين كابيكا محلول النشادر ···

أكولينا ايفانوفنا : يبدو أنها تشكو صداعا (تتنهد) لقد أصبحت تمرض كثيرا ··

ستيبانيدا : زوجوها ··· وسرعان ما تشفى !

أكولينا ايفانوفنا : ليس من السهل تزويج البنات فى هذه الأيام ··· وخاصة المثقفات منهن ···

ستيبانيدا : اذا أعطيتم « دوطة » كبيرة ، فحتى المثقفة ستجد من يتزوجها ··

(يطل بيوتر من غرفته ثم يختفى ثانية)

اكولينا ايفانوفنا : لن ترى عيناى هذه الفرحة ··· ان تانيا لا ترغب فى الزواج ···

ستيبانيدا : كيف لا ترغب ·· خاصة في مثل هذه السن !

اكولينا ايفانوفنا : ايه هيه هيه ! من كان بالأمس لدى تلك الساكنة ؟

ستيبانيدا : ذلك المدرس ··· ذو الشعر الأحمر ···

أكولينا ايفانوفنا : أهو ذلك الذى هربت منه زوجته ؟

ستيبانيدا : نعم نعم هو ! ذلك المحصل ··· النحيل الأصفر الوجه ·

اكولينا ايفانوفنا : اعرفه ··· انه زوج ابنة أخ التاجر بييمينوف انه مريض بالسل ·· أتسمعين ؟··

ستيبانيدا : يبدو كذلك ...

اكولينا ايفانوفنا : وهل كان المرتل لديها أيضا ؟

ستيبانيدا : كان لديها ، وكذلك بيوتر فاسيليتش ... أوه كم كان يرفع عقيرته بالأغانى ذلك المرتل ! ظل يصـــيح حتى الساعة الثانية ... كان يخور كالثور ..

اكولينا ايفانوفنا : ومتى عاد بيتيا ؟

ستيبانيدا : كان ضوء النهار قد بدأ يلوح عنـــدما فتحت له البـــاب ...

أكولينا ايفانوفنا : آه ... آه !

بيوتر : (يدخل) هيا يا ستيبانيدا ، أنهى مالديك بسرعة وأخرجى !

ستيبانيدا : حالا ... أنا نفسى سأكون سعيدة لو فرغت بسرعة .

بيوتر . وما دمت ستكونين سعيدة فأكثرى من العمـل وقللى من الثرثرة ....

(تزمجر ستيبانيدا وتخرج)

أماه ... لقد رجوتك أكثر من مرة ألا تتحدثى اليها .... لا يجدر بك أن تفعلى هذا ... افهمى يا أماه ... لا يليق أن تتحدثى مع الطاهية فى أمور خاصة ... وتسأليهاعن ...عن مختلف الأمور .... لا يصح !

أكولينا ايفانوفنا : (بغضب) ماذا .. أتعمر بأن آخذ الاذن منـك فيمن يمكننى التحـدث اليه ؟ انك لا ترغب محادثتى أو محادثة أبيك .. اذن دعنا نتفوه بكلمة ولو مع الخادمة ...

بيوتر : افهمى انها ليست ندأ لك ... ثم انك لن تسمعى منهـا الا الأخبار التافهة ..

اكولينا ايفانوفنا : (باحتقار) ولا يكن لك النـاس أى احترام ٠٠ خذ ٠٠ اشرب ٠٠٠ انه بارد هذا الشاى ٠٠٠ وخفيف بعض الشيء ٠٠

بيرتشيخين : (يرفع الكوب نحو النور) ليس ثقيلا ٠٠ شـكرا انها ليست فارغـة ٠٠٠ ان الثقيل ربما تغرق فيـه ٠٠٠ أما بخصوص الاحترام فاصنعى معروفا ٠٠٠ لا تحترمينى ٠٠٠ فأنا نفسى لا احترم أحدا ٠٠٠

اكولينا ايفانوفنا : ومن ذا بحاجة الى احترامك له ؟ لا أحد ٠٠٠٠٠

بيرتشيخين : رائع ! اننى الاحظ أن الناس على الأرض يتخاطفون اللقمـة من أفواه بعضهم البعض ٠٠٠ أما أنا فأحصل على طعامى من الهواء ٠٠٠ احصل عليه من طيور السـماء ٠٠٠ ان عملى نظيف ٠٠٠

أكولينا ايفانوفنا : حسن ٠٠ ومتى العرس ؟

بيرتشيخين : عـرس من ؟ عـرسى ؟ ان طائر الوقوق الذى كان من الممكن أن أتزوجه لم يأت بعد الى الغابات هنا ، ذلك الوغد، أظن أنه سيتأخر كثيرا ٠٠٠ وربما أموت قبل أن أراه ٠٠٠

اكولينا ايفانوفنا : كفـاك ثرثرة فارغة وقل لى صراحة ٠٠٠ متى تزفها ؟

بيرتشيخين : من ؟

أكولينا ايفانوفنا : ابنتك ٠٠ كما لو كنت لا تدرى ٠

بيرتشيخين : ابنتى ؟ ! سأزفها متى تريد ٠٠ اذا ما كان هناك من تزف اليه ٠٠

أكوالينا ايفانوفنا : هل كانا يفكران فى ذلك منـذ زمن طويل ؟

اكولينا ايفانوفنا : وماذا سمعت منك ؟ ها أنت تعيش معنا نصف عام ، ولم تجلس ساعة واحدة الى أمك .. لم تحدثها بشيء .. ولا كيف موسكو .. ولا ماذا هناك ..

بيوتر : اسمعي ...

أكولينا ايفانوفنا : فاذا تحدثت ، لا أسمع منك الا ما يسيء ... افعلي هذا ... لا تفعلي ذاك ... أخذت تعلم أمك كما لو كانت طفلة صغيرة .... وتنهرها ... وتسخر منها ... (يشيح بيوتر بيده ويخرج بسرعة الى المدخل . تصرخ أكولينا ايفانوفنا في أثره)

انظر ... كم تكلمت ! (تمسح عينيها بطرف ممسحتها وتشهق)

بيرتشيخين : (يدخل يرتدى سترة ممزقة يطل القطن من الفتحات التى بها . يشد وسطه بحبل وينتعل فى رجليه نعلا ذاسيور ويضع على رأسه قلنسوة من الفراء) ما الذى يبكيك ؟ هل أساء اليك بيتروخا ؟ لقد مرق بجوارى كالسهم ، لم يقل لى حتى مرحبا .... هل بوليا هنا ؟

أكولينا ايفانوفنا : (تتنهد) فى المطبخ ... تخرط الكرنب ..

بيرتشيخين : ان الطيور لديها نظام جميل ... فاذا ما نبت للفرخ ريشه ، طار حيثما يشاء ... ليس بحاجة الى تدريب من أبيه أو أمه ... ألم يتبق لى بعض الشاى ؟

اكولينا ايفانوفنا : يبدو انك تتبع نظام الطيور فى حياتك الخاصة؟

بيرتشيخين : نعم هو كما تقولين تماما ... وهذا حسن ... ليس لدى شيء ولا أعوق أحدا ... كما لو كنت أعيش فى السماء لا على الأرض .

بيرتشيخين : فى ماذا ؟ من ؟

أكولينا ايفانوفنا : دعـــك من المراوغة ... لابد أنها على الأقل أخبرتك ....

بيرتشيخين : أخبرتنى بماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا : بالزفاف ..

بيرتشيخين : زفاف من ؟

أكولينا ايفانوفنا : عليك اللعنة .. ألا تخجل وأنت شيخ من اللف والدوران ؟!

بيرتشيخين : رويدك ... لا تصرخى فى ... وقولى لى ببســاطة : ماذا هناك ؟

أكولينا ايفانوفنا : ليست بى رغبة فى الحديث معك ...

بيرتشيخين : ومع ذلك تتحدثين ... ومن مدة طويلة تتحدثين.. دون أن توضحى الأمر ....

أكولينا ايفانوفنا : (بجفاء وحسد) متى تزف بلاجيا الى نيل ؟ ..

بيرتشيخين : (ينتفض هولا) ماذا ؟ الى نيل ... حقا ؟

أكولينا ايفانوفنا : أحقـــا لم تخبرك ؟.. يا لهـم من أناس ... حتى أبوها لم ...

بيرتشيخين : (يفرح) ماذا تقولين ؟ انك تمزحين ... نيل ؟ آه.. عليها اللعنة ! يا للشياطين ... يالك من بولكا (١) .... انك رقصة كادريل ولســت بولكا ... كلا ... انــك لا

---

(١) بولكا هو اسم التدليل لبوليا الذى هو بدوره تدليل للاسم الكامل بلاجيا . كما يلاحظ أن بولكا هو أيضا رقصة مشهورة ـ (المترجم) ..

تكذبين ؟ يا للمهارة ·· أما أنا فكنت أظن أن نيل سيتزوج تاتيانا ··· أي والله ··· كان يبـــدو أنه سيتزوج تاتيانا

أكولينا ايفانوفنا : (بغضب) ومن ذا كان سيعطيـــه تاتيـــانا ·· لسنا بحاجة الى مثل هذا الشقى ····

بيرتشيخين : لستم بحاجة الى نيل ؟ ماذا دهاك ! اننى ··· لو كان لدى عشر بنات لأعطيتهن جميعا له وأنا مغمض العينين ··· تقولين نيل ؟ انه ··· ان بوسعه أن يطعم وحـــده مائة ــ شخص ··· نيل ؟ ها ها !

أكولينا ايفانوفنا : (بسخرية) أرى أن نيل ســيكون لديه صـــهر طيب ···· صهر لطيف جدا ····

بيرتشيخين : صهر ؟ هكذا ! ان هذا الصهر لا يريد أن يـكون عالة على أحـــد ···· اياك أن تظنى ذلك ! بل اننى أكاد أرقص من الفرحة لقد أصبحت الآن فتى حرا ···· الآن سأعيش كما أريد ···· لن يرانى أحد ··· سأذهب الى الغابة··· وسيختفى بيرتشيخين يالك من بوليا ! لقد كنت أحيانا أفكر فى ابنتى ···· كيف ســـتعيش ؟ وكنت أشعر بضميرى يعذبنى من أجلهـا ··· لقد أنجبتهـا ··· نعـم ولكننى لا أستطيع أن أقدم لهـا شيئا ··· أما الآن ··· فاننى ··· سأذهب حينما أريد ! سأذهب لأقتنص طائر النار فى بـلاد واق واق !

أكولينا ايفانوفنا : وكيف ذلك ؟ لا أحد يهرب من السعادة ···

بيرتشيخين : السعادة ؟ ان سعادتى هى أن أذهب ··· أما بوليـا فستكون سعيدة ··· نعم ستكون ! مع نيل ؟انه فتى طيب،

مرح ، بسيط ٠٠ ان مخي يرقص في رأسي ، أما قلبي فتغنى
فيه القبرات لقد ابتسم لى الحظ ! (يدق بقدمه) ان بوليـــة
اقتنصت نيل ٠٠ حسنا فعلت ٠٠ حسنا فعلت ! آه ٠٠
« يا حلولى ٠٠ يا حلولى ! » ٠٠

بيسيمينوف : (يدخل مرتديا معطفه وفي يده قبعة)

آتراك شربت ثانية ؟

بفرح) ستتزوج من نيل ٠٠٠ هيه ؟ رائع ٠٠٠ هه ؟

بيرتشيخين : من الفرحة ٠٠٠ هل سمعت ؟ ان بلاجيا (يضحك

بيسيمينوف : (ببرود وقســـوة) ان هذا لا يخصـــنا ٠٠٠ نحن
سنأخذ منه ما يخصنا ٠٠٠

بيرتشيخين : أما أنا فكنت أظن دائما ان نيـــل يريد الزواج من
تاتيانا ٠٠

بيسيمينوف : ماذا ؟ ٠٠

بيرتشيخين : أى والله ! لقد كان واضحا أن تاتيانا لا تمانع ٠٠٠
فقد كانت تنظر اليه مرة هكذا ٠٠٠ ومرة ٠٠٠ أعنى كمـــا
ينبغى ٠٠٠٠ وعموما ٠٠٠ الخ ٠٠٠ اليس كذلك ؟ ثم فجأة
٠٠٠٠

بيسيمينوف : (بهدوء وحقد) اسمع ما سأقوله لك يا عزيزى٠٠
مع أنـك أحمق ، الا أنه عليك أن تفهم التفوه بمثـل هذه ــ
الـكلمات الوقحة في حق فتاة لا يجوز ٠ هذا ــ أولا (يأخذ
صوته فى الارتفاع تدريجيا) ٠ أما الى من كانت تنظر ابنتك
وكيف ، ومن كان ينظر اليها وكيف ، فانى لا أتحـدث عن
ذلك ، ولكنى سأقول شيئا واحدا : اذا كانت ستتزوج من
نيل فلتذهب الى الشيطان ! لانهما معا لا يســاويان شروى

نقير ! ومع أنهما مدينان لى بالـكثير الا ـ اننى من الآن أبصق عليهما • هذا ثانيا • أما الآن فاسمع هذا : مع أنه تجمعنى واياك قرابة بعيـدة الا أنه ومع ذلك ، ـ أنظر الى نفسـك ماذا تكون ؟ انك أفاق •••• ثم خبرني ، من الذى سـمح لك أن تدخل غرفة نظيفه فى هذه الهيئة المهملة ••• فى هذا النعل ••• وهذا الزى ؟

بيرتشيخين : ماذا بك ؟ فاسيلى فاسيليتش ••• ماذا بك يا أخى وهل هذه هى المرة الأولى التى أجيء فيها هكذا ••••؟

بيسيمينوف : لم أحص المرات ولا أريـد أن أحصى • ولـكننى أرى شـيئا واحدا : ـ ما دمت تأتى هـكذا ، فمعنى ذلك أنك لا تحترم صاحب هذا البيت • انىأسألك مرة ثانية : من أنت؟ أنت شحاذ ، سافل ، خرقة مهلهلة •••• أتسمع ؟ هـذا ثالثا • ثم ••• أخرج من هنا !

بيرتشيخين : (مذهولا) فاسيلى فاسيليتش ! لماذا ؟ ماذا فعلت من •

بيسيمينوف : أخرج من هنا لا تراوغ !

بيرتشيخين : أفق لنفسك ••• اننى لم أخطىء فى ••••

بيسيمينوف : (يخرج وهو يقول بلوم واشفاق) ايه أيها العجوز كم أرثى لك •••• وداعا !

(بيسيمينوف يذرع الغرفة بخطوات ثقيلة وهو صـامت مشـدود القامة ويبدو قاسـيا وكئيبا • اكولينا ايفانوفنا تغسل الأوعية وتراقب زوجها بخوف • يداها ترتعشـان وفمها يهمس بشىء)

بيسيمينوف : بماذا تهمسين ؟ هل تزاولين السحر ؟ ••

أكولينا ايفانوفنا : أنني أصلي .... أصلي أيها الأب ....

بيسيمينوف : أتعلمين ... لن يتسنى لى أن أصبح رئيسا !انني أرى ذلك لن يتسنى ... الأوغاد !

أكولينا ايفانوفنا : ماذا تقول ؟ يا الهى .. ماذا ؟ ولماذا ؟ ربما ..

بيسيمينوف : ماذا ربما ؟ان فيدكا دوسكين رئيس ورشة اللحام يسعى الى الرياسة ... ذلك الصبى ... الجرو !

أكولينا ايفانوفنا : ربما لا ينتخب ... لا تبتئس !

بيسيمينوف : بل سينتخبونه ! هذا واضح ... لقد ذهبت الى المجلس فوجدته جالسا هناك ... سمعته يطنطن وينشدق بأن الحياة صعبة .. ويجب أن نتكاتف معاً ... وأن نعمل متحدين ، وننشىء جمعية تعاونية ... يقول : ان المصنع الآن هو كل شيء ...وعلى الحرفيين ألا يعملوا فرادى.فقلت له ان اليهود هم سبب البلاء ! يجب أن نحد من نشاطهم . يجب أن نقدم شكوى للمحافظ بأنهم يضيقون الخناق على الروس وتطلب منه أن يعمل على طردهم من المدينة .

(تفتح تاتيانا الباب بهدوء ، ودون أى صوت تدخل الى غرفتها وهى تترنح)

فسألنى بابتسامة على شفتيه : وماذا تفعل بأولئك الروس ، الذين هم أسوأ من اليهود ؟ وأخذ يلمح الى بكلمات حريصة وتظاهرت بأنني لا أفهم .. ولكنى كنت أشعر الا م يرمى .. الوغد ! سمعت ما قال ثم تنحيت جانبا ، وقلت لنفسى رويدك ... سأدبر لك مكيدة . ثم أقبل نحوى كريكوف الخباز ... وقال : أتدرى ... اننى أعتقد أن الرئيس

سيكون دوسيكين ... وأخذ ينظر جانبا بخجل...وأردت أن أقول له : الويل لك يا يهوذا الأحول !

يلينا : (تدخل) مرحبا فاسيلي فاسيليفتش ! مرحبا أكولينا ايفانوفنا ....

بيسيمينوف : (بجفاء) آه ... أهو أنت ؟ ماذا تريدين ؟

يلينا : أبدا ... لقد أحضرت لكم أجرة الغرفة .

بيسيمينوف : (بترحيب أكثر) حسنا فعلت .. كم هنا ؟ خمسة وعشرون روبلا .. مازلت مدينة لي بأربعين كابيكا ثمن لوحي الزجاج في نافذة الطرقة ...وكذلك ثمن مقبض باب مخزن الخشب الذي كسرته طاهيتك ... لنقل ... عشرين كابيكا ....

يلينا : (بسخرية) يالك من ... دقيق ! تفضل .... هذه ثلاثة روبلات ... ليس معي فكة !

أكولينا ايفانوفنا : لقد أخذت جوالا من الفحم .. أخذته طاهيتك

بيسيمينوف : وكم يساوي ؟

أكولينا ايفانوفنا : الفحم ... خمسة وثلاثون كابيكا ...

بيسيمينوف : الجملة خمس وتسعون كابيكا ... تفضلي : روبلان ... وخمسة كابيك : أما بخصوص الدقة فقد أصبت يا سيدتي العزيزة . ان العالم كله يقوم على الدقة .. الشمس نفسها تشرق وتغرب بدقة كما هو مقدر لها من أقدم العصور .... وما دام هناك في السماء نظام ، فبالأحرى يجب أن يكون على الأرض أيضا ... وأنت كذلك ... لقد أحضرت النقد بمجرد أن حل الموعد ....

يلينا : انني لا أحب أن أكون مدينة ...

بيسيمينوف : شيء رائع ··· ولذلك فكل انسان يســـتطيع أن يثق بك ····

يلينا : حسنا ··· وداعا ! على أن أنصرف ······

بيسيمينوف : شرفتينا ··· (يشيعها بنظرة ثم يقول) ما أجملها ··· العاهرة ! ومع ذلك فانني وددت بكل سرور لو استطعت أن ألقى بها خارج المنزل ···

أكولينا ايفانوفنا : حسنا لو فعلت أيها الأب !

بيسيمينوف : فلنفرض ··· اننا نستطيع أن نراقبها مادامت هنـا ··· فاذا ـ انتقلت لمســكن آخر فان بتروشـــكا ســيتردد عليها ··· وساعتها ســتوقعه فى حبائلها بسرعة بعيدا عن أعيننا ··· وكذلك يجب مراعاة أنها تدفع الأجرة بانتظام ··· وكل تلف فى الشقة تدفع ثمنه بلا مناقشة ··· نعم! بالنسبة لبيوتر ·· بالطبع خطر ·· وخطر جدا ··

أكولينا ايفانوفنا : أليس من الجائز أن بيوتر لا يفكر فى الزواج منها ···· وانما ··· هكذا ···

بيسيمينوف : لو أن الأمر كان كذلك ··· لما كان هنـاك داع للكلام أو القلق ···· فهذا على كل حال خير من التردد على بيوت الدعارة ··· وأقرب ··· بل وأفضل !

(يتردد من غرفة تاتيانا أنين متحشرج)

أكولينا ايفانوفنا : (بهدوء) آه ؟

بيسيمينوف : (مثلها) ماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا : (تتكلم بهدوء وتنظر حولها بقلق كما لو كانت تصيخ الى شيء ما) خيل لى أنه فى المدخل ····

بيسيمينوف : (بصوت عال) لابد أنها قطة ....

اكولينا ايفانوفنا : (بتردد) أتدرى أيها الآب .. اننى أريد أن أفضى اليك بشيء ...

ببسيمينوف : حسنا ... قولى !

أكولينا ايفانوفنا : ألم تكن قاسيا على بيرتشيخين ؟ انه مسكين ..

بيسيمينوف : مادام كذلك فلن يغضب ... واذا غضب فلن نخسر كثيرا ... ان معرفته ليست بشرف كبير ...

(الأنين يتردد أعلى من ذى قبل)

من هذا ؟ أيتها الأم ....

أكولينا ايفانوفنا : (ترتبك) لا أدرى ... حقا ... ما هذا ...

بيسيمينوف : (يندفع نحو غرفة بيوتر) هنا أم ماذا ؟ بيوتر !..

أكولينا ايفانوفنا : (تندفع خلفه برعب) بيتيا ! بيتيا ! بيتيا!

تاتيانا : (تصرخ بحشرجة) النجدة ... أماه ... النجدة !... النجدة !

(بيسيمينوف وأكولينا ايفانوفنا يهرولان من غرفة بيوتر نحو مصدر الصرخات دون أن ينبسا بشيء يترددان لحظة فى الدخول ثم يندفعان معا الى الداخل تقابلهما صرخات تاتيانا)

أوه ... انى أحترق ... أوه ... اشرب ... أعطونى ماء النجدة .. !

أكولينا ايفانوفنا : (تندفع خارج الغرفة وتفتح باب المدخل وتصيح) يا الهى ... يالطيف ! ... بيتيا !

(يسمع فى غرفة تاتيانا صوت بيسيمينوف الخفيض : ماذا جرى يا بنيتى ··· ماذا جرى ··· ماذا بك يا بنيتى ···

تاتيانا : ماء ··· انى أموت ··· كلى أحترق ··· يا الهى !

أكولينا ايفانوفنا : تعالوا هنا ···· تعالوا ···

بيسيمينوف : (من الغرفة) استدعوا الطبيب ··· أسرعوا ···

بيوتر : (يدخل مهرولا) ماذا هناك ؟ ماذا دهاكم ؟

أكولينا ايفانوفنا : (تمسك بيده ·· وهى تلهث) تانيا··· تموت

بيوتر : (يتخلص من قبضتها) أتركينى ··· أتركينى ···

تيتريف : (يرتدى سترة فى طريقه) ماذا ·· أهو حريق ؟ ··

بيسيمينوف : الطبيب ···· استدع الطبيب يا بيوتر ···اعطه خمسة وعشرين روبلا ····

بيوتر : (يهرول خارجا من غرفة أخته · يقول لتيتريف) الطبيب ·· استدع الطبيب ··· قل له انتحرت ·· امرأة ····· فتاة ·· شربت محلول النشـــادر ·· أسرع ·· أسرع ··
(تيتريف يسرع نحو المدخل)

ستيبانيدا : (تدخل مهرولة) يا الهى ··· يا الهى ···

تاتيانا : بيتيـا ··· انى أحترق ··· أمـوت ! أريـــد أن أعيش أعيش ! اعطونى ماء !

بيوتر : كم تناولت ؟ متى شربته ؟ تكلمى ····

بيسيمينوف : بنيتى ··· تانيتشكا !

بيوتر : اذهبي يا أماه ·· خذيها يا ستيبانيدا ·· خذيها قلت لك
(بلينا تندفع الى غرفة تاتيانا)
خذي أمي ·
(تدخل امرأة وتقف عند الباب تطل فى الغرفة وتهمس بشيء)
بلينا : (تسحب اكولينا ايفانوفنا من يدها وتتمتم) الأمر بسيط ·
ليس هناك خطورة ··
أكولينا ايفانوفنا : صغيرتي ·· يا بنيتي ··· هل أسأت اليك
كيف أغضبتك ؟
بلينا : كل هذا سيزول ·· الطبيب سينقذها ·· أوه يا للمصيبة !
المرأة : (تمسك بيد أكولينا ايفانوفنا الأخرى) لا تنزعجي يا أماه
··هناك من المصائب ما هو أعظم! اليك مثلا التاجر سيتانوف
·· لقد رفس حسانه الحوذي في جنبه ··
أكولينا ايفانوفنا : يا عزيزتي ·· ماذا سأفعل ؟ يا بنيتي الوحيدة !
(يسحبونها خارج الغرفة · فى غرفة تاتيانا تختلط
صرخاتها بصوت أبيها الخفيض وكلمات بيوتر المتوترة ··
المتقطعة ··· يدوى رنين أوعية ما ويسقط كرسي ويصر
حديد السرير ·· وتسقط وسادة على الأرض بصوت ناعم ،
تهرول سيتبانيدا عدة مرات خارجة من الغرفة مضطربة
الهيئة ، فمها مفتوح وعيناها مفتوحتان ·· تلتقط من الصوان
بعض الاطباق والأكواب ، تكسر شيئا ما ثم تختفي مرة
ثانية ، تطل من باب المدخل بعض الوجوه ولكن أحدا لا يجرؤ
على الدخول ·ينطلق من بينهم صبي نقاش ويطل في باب
غرفة تاتيانا ثم يعود على الفور وينبىء الجميع بصوت عال
ولكنه هامس : «انها تلفظ أنفاسها !»ينطلق في الفناء عزف
البيانولا ولكنه ينقطع على الفور · تتردد بين الجميع في

المدخل همهمة : ؟ هل قتلها ؟ انه أبوها ٠٠ لقد قال لها : اسمعى ٠٠٠ اياك والا ٠٠٠ ! ضربها على رأسها ٠٠٠ بماذا ٠٠٠ ألا تعرف ؟ ما هذا الكذب ، بل ذبحت نفسها بيدها٠٠ « صوت نسائى يسأل أهى متزوجة ؟ » أحدهم يمصمص بشفتيه بصوت عال وباشفاق ٠)

المرأة : (تخرج من غرفة الوالدين وعندما تمر بجوار المنضدة تدس تحت منديلها رغيفا ، ثم تقترب من الباب وتقول) صمتا ٠٠٠ انها تحتضر ! ٠٠٠٠

صوت رجل : ما اسمها ؟

المرأة : ليزافيتا ٠٠٠٠

صوت امرأة : ولماذا فعلت ذلك ؟

المرأة : لقد قال لها يوم تذكار نياحة العذراء : اسمعى ياليزافيتا ٠٠

(حركة فى الجمع ٠ يدخل الطبيب وتيتريف ٠ يتجه الطبيب ـ مباشرة الى غرفة تاتيانا مرتديا القبعة والمعطف ٠ يطل تيتريف من الباب ثم يبتعد مكتئبا ٠ فى غرفة تاتيانا مازالت تتردد الأصوات المختلطة بالأنين أما من غرفة الوالدين فتسمع صرخات أكولينا ايفانوفنا وعويلها : « دعينى ! دعينى أذهب اليها ! » وتسمع فى المدخل دمدمة أصوات خفيفة ٠ تسمع من بينها كلمات : « انه شخص جاد ٠٠٠ انه المرتل ٠٠٠ أحقا ؟ أى والله ٠٠٠ من كنيسة ايفان بريدتيتش »)

تيتريف : (يتجه نحو الباب) ما وقوفكم هنا ؟ اذهبوا ٠٠٠ هيا !

المرأة : (تندس فى الباب أيضا) انصرفوا أيها الناس الطيبون ٠٠٠ ان هذا لا يخصكم ٠٠٠

تيتريف : ومن تكونين أنت ؟ ماذا تريدين ؟

المرأة : اننى يا بنى أبيع الخضروات ··· البصل الأخضر ··· والخيار ··· و ···

تيتريف : وماذا تريدين ؟

المرأة : لقد كنت ذاهبة يا بنى الى السيدة سيماجينا ··· انها أمى فى العمـاد ···

تيتريف : حسنا وماذا تريدين هنا ؟

المرأة : وعندما مررت بالقرب من هنا سمعت ضجة ··· فظننت أنه حريق ···

تيتريف : وماذا ؟

المرأة : فدخلت ··· دخلت لأرى المصيبة ····

تيتريف : أخرجى من هنا ! اخرجوا كلكم من هنا ··

ستيبانيدا : (تخرج مهرولة وتقول لتيتريف) هات دلو ماء ·· هيا بسرعة !

(يطل من الباب شيخ أشيب معصوب الخد ، يغمز بعينه لتيتريف ويقول : « أيها السيد ··· لقد سرقت المرأة رغيفا من على المنضدة ··· » يتجه تيتريف نحو المدخل ويدفع الناس الى الخارج · تسمع فى المدخل هرولة وجلبة ويصيح أحد الصبية « ··· أى ··· أى ··· » يضحك أحـدهم ويصرخ أحدهم بغضب : « رويدك ! »)

تيتريف : (دون أن يظهر) الى الشيطان ·· مارش !

بيوتر : (يطل من الباب) صمتا ··· اذهب يا أبى الى أمى ···

هيا ، اذهب ! (يصرخ فى المدخل) لا تدعوا أحدا يدخل ..
(يخرج بسيمينوف وهو يترنح على قدميه . يجلس على كرسى عند المنضدة وينظر الى الأمام ببلادة . يقف ثم يذهب الى غرفته حيث يسمع منها صوت اكولينا ايفانوفنا .)

أكولينا ايفانوفنا : ألم أكن أحبها ؟ ألم أكن أحبها ؟

يلينا : خففى عنك يا عزيزتى ...

اكولينا ايفانوفنا : أيها الأب ! ياعزيزى ...

(يغلق الباب خلف بيسيمينوف فلا تسمع بقية الكلام . الغرفة الآن خالية . ومن كلا الجانبين تدخلها الضجة : أصوات من غرفة بسيمينوف ، ولغط خافت وأنين وجلبة من غرفة تاتيانا . تيتريف يحمل دلوا به ماء ويضعه عند الباب ثم يدق الباب باصبعه بحذر . تفتح ستيبانيدا الباب وتأخذ الدلو ثم تخرج هى الأخرى الى الغرفة ، تمسح العرق عن وجهها) .

تيتريف : ماذا ؟ ..

ستيبانيدا : لا شىء ... أتسمع ...

تيتريف : هل الطبيب هو الذى قال هذا ؟

ستيبانيدا : هو . ولكن ما الفائدة ... (تلوح بيدها يائسة) لقد أمر بمنع أمها وأبيها من الدخول ...

تيتريف : أليست حالتها الآن أفضل ؟

ستيبانيدا : من يدرى ؟ لقد كفت عن الأنين ... أصبح لونها أخضر ... وعيناها كبيرتين ... انها ترقد ساكنة ... (تهمس بلوم) لقد قلت لهم ... كم مرة قلت لهم :

زوجوها ... زوجوها ... فلم يسمعوا كلامى ... وهاك ما حـــدث ! هل يصح لفتاة أن تبقى حتى هذه السن دون زوج ؟ ولكنها لم تكن تؤمن بالله ... لم تصل مرة ... ولا حتى رسمت الصليب ... فهاك ما حدث ...

تيتريف : اسكتى ... أيتها الغراب ..

بلينا : (تدخل) كيف حالها الآن .. كيف ؟

تيتريف : لا أعلم ... يبدو أن الطبيب يقول انها ليست فى خطر.

(يهز تيتريف كتفيه فى صمت)

ستيبانيدا : (تهرول خارجة من الغرفة) يا الهى ... لقد نسيت المطبخ !

بلينا : وما السبب ؟ ماذا حدث ؟ مسكينة تانيـــا ! ... لابد أن ذلك آلمها كثيرا ... (تقطب وتنتفض) أهو مؤلم ؟ جدا ؟ بشكل فظيع ؟

تيتريف : لست أدرى ... لم أتناول قط محلول النشادر ...

بلينا : كيف تجرؤ على المزاح ؟

تيتريف : لست أمزح ...

بلينا : (تقترب من باب غرفة بيوتر ثم تطل فيه) وهل بيو .... بيوتر فاسيلييفيتش مازال هناك عندها ؟

تيتريف : يبدو كذلك ... لانه لم يخرج من هناك ...

بلينا : (بتفكير) اننى أتخيل كيف أثر هذا عليه ...

(صـــمت)

عندما ••• عندما يتصادف أن أرى ••• شيئا من هذا القبيل •• أشعر فى قرارة نفسى بالحقد على المصائب •••

تيتريف : (يبتسم) هذه عاطفة محمودة •••

بلينا : أتعلم ؟ أود لو أمسك بها وألقى بها تحت قدمى وأسحقها ••• كلها ••• الى الأبد !

تيتريف : المصيبة ؟

بلينا : طبعا ! انى لا أخافها وانما أحـ •• تـ •• قرها !

انني أحب أن أعيش فى جو من المرح والتغيير ••• أحب أن أرى مختلف النـــاس ••• كما أنى أســتطيع أن أجعل حياة من حولى سهلة ، سعيدة ••••

تيتريف : أمر محمود جدا ••

بلينا : أتدرى أيضا ؟ سأعترف لك ••• انني شائكة الملمس ••• قاسية جدا ••• ولا أحب التعساء ••• أتفهم ••• هنــاك بعض الناس تجدهم دائما تعساء ، مهما فعلت من أجلهم ! •• ولو ألبست أحدهم بدلا من القبعة شمسا ــ أى شىء أروع من هذا ! فانه ســيظل يئن ويشكو : « آه ••• يالى من تعيس ! كم أنى وحيد ! لا أحد يهتم بى ••• ان الحياة مظلمة ومملة ••• آه ••• أوه ••• يا للحسرة ! » وعندما أرى مثل هذا الشخص تراودنى رغبة شريرة فى أن أجعله أكثر تعاسة •••

تيتريف : سيدتى الرقيقة •• ! أنا أيضا سأعترف لك ••• اننى لا أطيق أن أسمع امرأة تتفلسف ••• ولكن عندما أسمعك تتفلسفين أشعر برغبة فى أن أقبل يديك ••:

بلينا : (بمكر ودلال) فقط ؟ وفقط عندما أتفلسف ؟٠٠٠
(مستدركة) أوه ٠٠ اننى أمزح وألهو بينما هناك انسان يتعذب ٠٠٠

تيتريف : (مشيرا الى غرفة الوالدين) وهناك أيضا يتعذب ٠٠٠ وأينما أشرت باصبعك فهناك انسان يتعذب ٠٠٠ تلك هى عادته ٠

بلينا : انه مع ذلك يشعر بالألم ٠٠٠

تيتريف : طبعا ٠٠٠

بلينا : وعلينا أن نشفق عليه ٠٠

تيتريف : ليس دائما ٠٠٠ بل انه لا داعى مطلقا للاشفاق عليه ٠٠ من الأفضل أن نساعده ٠

بلينا : لن نستطيع مساعدة الجميع ٠٠٠ كما أنك لن تستطيع مساعدته دون أن تشفق عليه ٠

تيتريف : سيدتى ! اننى أفكر هكذا : العذاب وليد الرغبة ٠٠٠ وفى الانسان رغبات جديرة بالاحترام ، كما أن فيه أخرى غير جديرة بذلك ٠ فلتساعديه اذن على اشباع تلك الرغبات الجسدية الضرورية لكى يصبح سليما وقويا ، وتلك الرغبات التى تسمو به فوق مرتبة الحيوان ٠٠٠

بلينا : (دون أن تصغى اليه) ربما ٠٠٠ ربما كذلك ٠٠٠ ولكن ما الذى يدور هناك ؟ ماذا ٠٠٠ هل نامت ؟ ياللهدوء ! وهذا الهمس ٠٠٠ العجوزان أيضا ذهبا ٠٠٠ وغابا فى ركنهما ٠٠ ما أغرب كل هذا ٠٠ فجأة أنين وضجة وصراخ وجلبة ٠٠٠ ثم فجأة هدوء وصمت !

نيتريف : تلك هى الحياة .. يصرخ الناس قليـــــلا ثم يتعبون ـ فيصمتون وبعد أن يستريحوا يواصلون الصراخ من جديد .. أما هنا ، فى هذا المنزل فكل شيء يصمت بأسرع من المعتاد سواء صرخات الآلم أو ضحكات الفرح ... كل هــــذه تصيب هذا المنزل تشـــبه ضربة عصى فى بركة من الوحل ... والصوت الأخير دائما هـــو صرخـــة الحقارة تلك الجنية التى تعشش فى هذه الأماكن انها دائما تملك الكلمـة الأخيرة سواء كانت منتصرة أو غاضبة ..

يلينا : (بتفكير) عند ما كنت أعيش فى الســـجن ... كان الجو هناك أكثر تسلية ... كان زوجى مقامرا ... يشرب كثيرا وكثيرا ما يخرج للصيد . كانت المدينة مركزا بينما سكانها ...ريفيون وكنت أنا حرة ولكنى لم أكن أذهب الى أى مكان ولم أكن أستقبل أحدا بل كنت أعيش مع النزلاء . لقد كانوا يحبوننى ... حقا انهم قوم عجيبون اذا ما نظرت اليهم عن قرب ... صدقنى انهم بسطاء وظرفاء الى حـد كبير ! وكنت أحيانا أنظر اليهم ولا أصدق أبدا أن هـذا قاتل ، وهذا سارق ... وهذا قد اقترف شيئا ما آخر .. وأحيانا أسأل أحدهم : « هل قتلت ؟ فيجيب قتلت يا يلينا نيكولا يفنا قتلت ... وماذا أفعل » ؟ وكان يخيل الى أن هذا القاتل يحمل وزر غيره ، وأنه كان مجرد حجر ألقت به قوة أخرى ... نعم . لقد اشتريت لهم كتبا عديدة ، ووزعت على كل زنزانة أوراق اللعب والدومينو ... وكنت أعطيهم التبغ ... وكذلك كنت أعطيهم بعض الخمر ... وكانوا أثناء فترة النزهة يلعبون الكرة ... ولعبة المدن .. تماما كالأطفال . واشتريت لهم طيورا وأقفاصا ... وكان لكل زنزانة طائرها ... وكانوا يحبونه كما يحبوننى !

أتدرى ، لقد كانوا يفرحون جدا عندما كنت أرتدى شيئا ما زاهيا ... بلوزة حمراء .. أو صفراء .. صدقنى أنهم يحبون الألوان الزاهية المرحة ! وكنت أرتدى من أجلهم الملابس الفاقعة الألوان ما أمكننى ... (تتنهد) ما كان أحلى الحياة معهم ! اننى لم أشعر كيف مرت ثلاث سنوات ... وعندما قتل الحصان زوجى لم أبك عليه بقدر ما بكيت على ـ السجن كما يبدو ... كان يعز على أن أرحل عنه ... والنزلاء أيضا .. كان يبدو عليهم الحزن .. (تفحص الغرفة بنظراتها) أما هنا .. فى هذه المدينة فحياتى أصبحت أسوأ ... هناك شىء ما ... غير طيب فى هذا المنزل . ليس الناس .. بل شىء ما آخر ... والآن ، أتدرى ، لقد تملكنى الحزن ... اننى أشعر بضيق ... ها نحن نجلس معا نتحدث ... وهناك ، ربما يحتضر انسان ...

بلينا : (بسرعة) ألا نشفق عليه ...

بلينا : (بسرعة) ألا تشفق عليه ؟

تيتريف : ولا أنت ...

بلينا : (بصوت خافت) نعم ، أنت على حق ! بل هذا لا يليق ... أدرك ذلك ... ولكنى لا أشعر أن هذا لا يليق . أتدرى أحيانا تدرك أن هذا الشىء سىء ولكنك لا تشعر بذلك ... أتدرى اننى أشفق عليه ... على بيوتر فاسيلييفيتش أكثر مما أشفق عليها ... اننى أشفق عليه عموما ... فهو يعانى من الحياة هنا ... أليس كذلك ؟

تيتريف : الجميع هنا يعانون ...

بوليا : (تدخل) السلام عل ...

بلينا : (تقفز نحوها) تش .. صمتا .. أتعلمين .. لقد انتحرت ثانيا !

بوليا : ماذا ... ؟

بلينا : نعم .. الطبيب وأخوها هناك .. عندها ...

بوليا : أهى تحتضر ... ستموت ؟

بلينا : لا أحد يورى ..

بوليا : لماذا ؟ هل قالت ؟ كلا ؟

بلينا : لست أدرى .. كلا ..

بيوتر : (يطل برأسه المشعثة من الباب) يلينا نيكولايفنا ... دقيقة من فضلك ...

(تذهب يلينا بسرعة)

بوليا : (لتيتريف) لماذا تنظر الى ... هكذا ؟

تيتريف : كم مرة سألتنى هذا السؤال ؟

بوليا : لانك دائما تفعل هذا ... دائما تنظر نظرة معينة ... لماذا ؟ (تقترب حتى تكاد تلتصق به . تقول بحدة) ماذا ... أتظن أننى مذنبة ... فى هذا ؟

تيتريف : (بسخرية وهل تشعرين بما يشبه الذنب ؟

بوليا : أشعر أن ... كراهيتى لك تزداد ... نعم ! من الأفضل أن تخبرنى كيف حدث هذا ؟

تيتريف : بالأمس دفعوها دفعة بسيطة ... فسقطت اليوم ! لأنها ضعيفة هذا كل ما هناك !

بوليا : ليس صحيحا !

تيتريف : ماذا ليس صحيحا ؟

بوليا : اننى أعرف الأم تلمح ·· هذا ليس صحيحا ·· ان نيل ··

تيتريف : وهل هو نيل ؟ ما دخل نيل هنا ؟

بوليا : لا هو ولا أنا ··· ليس لنا دخل فى هذا ··· أنت ··· كلا ··· أنا أعرف أنك تتهمنا ··· حسنا ، وماذا ؟ اننى أحبه ··· وهو يحبنى ··· وقد نشـأ حبنا منذ مدة طـويلة !

تيتريف : (بجد) أنا لا أتهمكم بشىء ··· انك انت التى اتهمت نفسك باتهـام ما ، وها أنت تبررين موقفك أمام أول من صادفك لماذا ؟ اننى ·· أحـ ·· احترمك جدا · من كان يقول لك دائما أبدا وباصرار : ابتعـدى عن هـذا البيت بسرعة ، لا تأتى الى هنا · الجو هنا فاسـد وسيفسدون روحك ··· أنا الذى كنت أقول ···

بوليا : حسنا ··· وماذا ؟

تيتريف : لا شىء · لقد أردت فقط أن أقول : لو كففت عن المجىء الى هنا لما كنت تعانين مما تعانين منه الآن ··· هذا هو كل ما هناك !

بوليا : نعم ··· ولكن كيف فعلت ذلك ؟ هل حالتهـا خطيرة ؟ كيف انتحرت ؟

تيتريف : لست أدرى ···

(يخرج بيوتر والطبيب)

بيوتر . بوليا ··· من فضلك ساعدى يلينا نيكولايفنا ····

تيتريف : (لبيوتر) ماذا ··· خبرنى ؟

الطبيب : شيء تافه فى الواقع ! غير أن المريضة عصبية ··· والا لما تأثرت ··· لقد شربت قليلا من المحلول فحرقت المرىء ··· وتسرب بعض النشادر الى المعدة ··· يبدو أنه مقدار قليل ·· وحتى هذا طردته المعدة ···

بيوتر : انك متعب يا دكتور فلتسترح قليلا ··· تفضل

الطبيب : أشكرك ··· ستمرض أسبوعا ··· نعم ، لقد كانت لدى منذ أيام حالة طريفة ··· فقد شرب أحد النقاشـــين وكان ثملا ــ كوبا من الطلاء بدلا من البيرة ···

(يدخل بيسيمينوف · يقف عند باب غرفته وينظر صامتا الى الطبيب بتساؤل وعبوس)

بيوتر : اطمئن يا أبى ··· ليس الأمر خطيرا ·

الطبيب : نعم ··· نعم ! لا تخشى شيئا ··· ستقف على قدميها بعد يومين أو ثلاثة ····

بيسيمينوف : أحقا تقول ؟

الطبيب : أؤكد لك !

بيسيمينوف : حسنا ، أشـــكرك ··· ما دامت هى الحقيقة ··· مادام الأمر ليس خطيرا ··· أشكرك ! يا بيوتر ··· تعال !

(يتجه بيوتر نحوه فيرجع بيسيمينوف الى الخلف داخل باب غرفته · يسمع همس ورنين نقود)

تيتريف : (للطبيب) وماذا حدث للنقاش ؟

الطبيب : اه ··· كيف ؟

تيتريف : ماذا حدث للنقاش ؟

الطبيب : آه ! النقاش .. لا شيء .. شفى .. ام ! يبدو أننى رأيتك من قبل ... أين ؟ ..

تيتريف : ربما ...

الطبيب : ألم ... تكن نزيلا فى عنبر التيفود ؟

تيتريف : كنت نزيلا ...

الطبيب : (بفرحة) أها ! نعم ... نعم ! ولذلك عندما رأيتك قلت انى أعرف هذا الوجه ... عفوا ... ألم يكن ذلك فى الربيع. نعم ؟ يبدو أننى أذكر اسمك واسم العائلة

تيتريف : وأنا أيضا أذكرك .

الطبيب : حقا ؟ ..

تيتريف : أذكر .. عندما كنت أتماثل للشفاء وطلبت منك أن تزيد نصيبى من الطعام قلبت لى سحنتك الكريهة وقلت : « أقنع بما يعطى لك . ان أمثالك من السكارى والمتشردين كثيرون»

الطبيب : (مرتبكا) عفوا ! ان هذا لم ... عفوا ... أنت ... ان اسمك .. اننى الطبيب نيكولاى ترويبروكوف ... و..

تيتريف : (يقترب منه) أما أنا فالسكير العريق وحامل وسام ثعبان الشراب الأخضر ... تيرينتى بوجسلوفسكى يتقهقر الطبيب أمامه)

لاتخف ... لن أمسسك ... (يمر بجواره)

(ينظر الطبيب فىأثره بارتباك ويلوح بالقبعة . يدخل بيوتر)

الطبيب : (ينظر الى باب المدخل) وداعا اذن ... انهم فى انتظارى

••• وفى حالة ما اذا شكت ألما كرر الدواء ••• أعطها نقطة أخرى ••• لن يكون هنـــاك ألم شديد ••• وداعا •••
••• قل لى ••• كان هنا منذ لحظة سيد غريب ••• هل هو قريبك ؟

بيوتر : كلا ••• اننا نعوله •••

الطبيب : أها •• شىء طيب جدا ••• انه انسان غريب جدا ••• وداعا ••• أشكرك ! (ينصرف)

(يرافقه بيوتر حتى المدخل • يخرج بيسيمينوف واكولينـا ايفانوفنا من غرفتهـا ويسيران على أطراف أصابعهمـا وبحذر ويقتربان من باب غرفة آبنتهما)

بيسيمينوف : ربيدك ••• لاتذهبى هناك •• لا أسمع شيئا •• ربما تكون نائمة احذرى أن نوقظها ••• يقود زوجته من يدها ناحية الركن الذى فيه الصندوق) نعم أيتها الأم ! هاقد عشنا حتى •• حتى العيد !

ستمتلىء المدينة بالأقاويل والشائعات •••

اكولينا ايفانوفنا : أيها الأب ! ماذا بك ؟ ما الذى تقوله ؟

فلينفخوا كل الأبواق ••• فقط تبقى هى لنا ••• فليـدقوا كل الأجراس ! •••

بيسيمينوف : نعم ••• اننى أعلم ••• هو كما تقولين ••• ولكنك •• آه انك لا تفهمين سيحل بنا العار •••

اكولينا ايفانوفنا : ماذا ••• أى عار ؟

بيسيمنوف : لقد حاولت ابنتنا الانتحار ••• افهمى ! أى ألم سببناه لها ؟ بماذا أسأنا اليها ؟ هل نحن وحوش بالنسبة

لها ؟ ولكنهم سينشرون الأقاويل .. اننى لا أهتم بذلك ...
فأنا مستعد لتحمل أى شىء فى سبيل الأولاد ... ولكن فقط
لماذا ؟ ماذا فعلنا ؟ أريد فقط أن أعرف ... آه ، الأولاد !
انهم يحيون فى صمت ... ماذا فى قلوبهم ؟ لا نعلم !
ماذا فى رءوسهم ؟ لايظهر ... هذا هو ما يحز فى نفسى !

اكولينا ايفانوفنا : اننى لاأفهم هذا ... وأنا أيضا يحزننى ذلك
..ألست أمهم ! أدور فى المنزل طول اليوم .. ولا أحد
يقول لى حتى كلمة شكر ... اننى أفهم ولكن ماذا بيدى ؟
ليتهم فقط يبقون لنا أصحاء أحياء ... ولكن اليك ما يحدث!

بوليا : (تخرج من غرفة تاتيانا) انها تغفو ... اخفضوا أصواتكم

بيسيمينوف : (ينهض) كيف حالها ... هه ؟ هل يمكن رؤيتها؟

اكولينا ايفانوفنا : سأدخل بهدوء ... هه ؟ أنا .... وأبوها..

بوليا : (بشك) وكيف عرفت ؟ عندما كان الطبيب هنا لم تكونى
قد جئت بعد ...

بوليا : لقد أخبرتنى يلينا نيكولايفنا ...

بيسيمينوف : أهى أيضا هناك ؟ ايه .. الغرباء مسموح لهم
وأهلها ممنوعون ... ياله من أمر عجيب ..

اكولينا ايفانوفنا : سنأكل فى المطبخ ... حتى لا نزعجها ...
آه ياعزيزتى ! حتى رؤيتك مستحيلة (تشيح بيدها وتذهب
الى المدخل)

(تقف بوليا مستندة الى الدولاب وتنظر نحو باب غرفة
تاتيانا . حاجباها مقطبان ، شفتاها مضمومتان وتقف
ممدودة القامة . يجلس - بيسيمينوف الى المنضدة وكأنه
يتوقع شيئا ما)

بوليا : (بصوت خافت) هل كان أبى هنا اليوم ؟

بيسيمينوف : انك لا تسألين عن أبيك .... ماذا يهمك من أمر أبيك ؟ اننى ـ أعرف ما أنت بحاجة اليه ..

(تنظر اليه بوليا بدهشة)

نعم ... كان أبوك هنا ... كان قذرا ، مهلهلا ... مجردا من أى هندام لائق .. ولكنك يجب أن تحترميه ....

بوليا : اننى أحترمه ... لماذا تقول ذلك ؟

بيسيمينوف : لكى تفهمى ... ان أباك متشرد لا مأوى له ... ومع ذلك فلا يحق لك أن تخالفى ارادته .. ولكن ، أتراك تفهمين ماهو الأب انكم جميعا مجردون من المشاعر أنت ... ها أنت ذا فتاة فقيرة بلا عائل وكان من المفروض أن تكونى متواضعة ... ورقيقة مع المجتمع ، ولكنك مثلهم ـ تتفلسفين تريدين محاكاة المثقفين . نعم ! ها أنت تتزوجين ... بينما هنا انسان كاد يفقد حياته ...

بوليا : اننى لا أفهم ماذا تقول ... ولماذا ؟

بيسيمينوف : (يبدو أنه فقد الترابط فى أفكاره فيهيج) افهمى . فكرى ... اننى أقول هذا لكى تفهمى ؟ من أنت ؟ ومع ذلك فانك ستتزوجين ... بينما ابنتى ... لماذا تقفين هنا ؟ اذهبى الى المطبخ ... اصنعى أى شىء .. اذهبى سأتولى أنا المراقبة ..

(تنظر بوليا اليه بدهشة ثم تهم بالانصراف)

(انتظرى .. منذ فترة .. صححت فى وجه أبيك ! ..

بوليا : لماذا ؟

بيسيمينوف : ليس هذا من شأنك •• هيا •• اذهبى !

(تنصرف بوليا مندهشة • يتجه بيسيمينوف بهدوء الى باب غرفة تاتيانا ويفتح الباب قليلا يريد أن يلقى نظرة • تخرج اليه يلينا وتنحيه)

يلينا : لا تدخل •• يبدو أنها نائمة •• لا تزعجها ••

بيسيمينوف : أم ! الكل يزعجوننا •• اما أنتم فازعاجكم ممنوع•

يلينا : (باستغراب) ماذا تقول ؟ انها مريضة ••!

بيسيمينوف : أعرف ••• أعرف كل شيء ••• (يذهب الى المدخل)

(تهز يلينا كتفيها وهى تشيعه ، تتجه ناحية النوافذ وتجلس على الأريكة وتضع يديها خلف رأسها وتستغرق فى التفكير تظهر على فمها ابتسامة وتغلق عينيها وهى حالمة • يدخل بيوتر كئيبا مشوش الهندام • يهز رأسه بشدة وكأنه يريد أن ينفض منها شيئا ما يرى يلينا فيقف)

يلينا : (مغلقة العينين ! من هناك ؟

بيوتر : لماذا تضحكين ؟ من الغريب أن أرى وجها باسما ••• الآن •• بعد ما جرى •••

يلينا : (تتطلع اليه) هل أنت غاضب ؟ أم تعب ؟ أيها الغلام المسكين ••• انني أشفق عليك ••

بيوتر : (يجلس على كرسى بجوارها) أنا أيضا أشفق على نفسى

يلينا : يلزمك أن ترحل الى مكان ما ••

بيوتر : نعم يلزمنى • وفى الحقيقة لماذا أنا هنا ؟ ان هذه الحياة ترهقنى بشكل فظيع ••

بلينا : كيف تتمنى أن تعيش ؟ خبرنى ‥ كثيرا ما طرحت عليك هذا السؤال ولكنك لم تجبنى أبدا ‥

بيوتر : من الصعب أن أكون صريحا …

بلينا : معى ؟

بيوتر : ومعك أيضا … أنى لى أن أعرف شعورك نحوى ؟ وكيف تتقبلين ما يمكن أن أقوله لك ؟ يبدو لى أحيانا أنك ‥

بلينا : آنى ماذا … هه ؟

بيوتر : ان شعورى طيب نحو ‥

بلينا : ان شعورى نحوك طيب ‥ طيب جدا ‥ يا غلامى الرائع ،

بيوتر : (بحرارة) لست غلاما ، كلا ! لقد فكرت كثيرا ‥ اسمعى خبرينى هل تعجبك كل هذه الجلبة التى يشغل أنفسهم بها نيل وشيشكين وتسفيتايفا ‥ كل هؤلاء القوم الصاخبين ؟ هل تعتقدين فعلا بأن تلك القراءة المشتركة للكتب المفيدة‧ والمسرحيات التى يقدمونها للعمال وال‥ والمتعة الحكيمة ‧ الى آخر هذه الضجة الفارغة ‥ هل تعتقدين أنها فعلا عمل هام يستحق أن تكرس الحياة كلها له ؟ خبرينى ‥

بلينا : يا عزيزى ‥ اننى لست مثقفة ‥ ولا أستطيع الحكم على ذلك فأنا لا أفهم ‥ اننى لست امرأة جادة ‥ آنهم جميعا يروقون لى … نيل ، وشيشكين … انهم مرحون … ودائما يفعلون شيئا ما ‥ اننى أحب المرحين … فأنا نفسى كذلك … لماذا تسألنى عن هذا ؟ ‥

بيوتر : أما أنا فيستفزنى كل هذا … واذا كانوا يحبون أن يعيشوا هكذا اذا كانوا يجدون فى ذلك متعة … فهنيئا لهم لن أقف فى طريقهم ‥ اننى لا أريد أن أقف فى طريق

أحد ، فليدعونى أعيش كما يحلو لى ! لماذا يصرون دائما على أن يضفوا على عملهم معنى خاصا .. لماذا يقولوا لى أننى جبان وأنانى ..

بلينا : (تتحسس رأسه) يا له من معذب .. انه متعب ..

بيوتر : كلا ، لست متعبا .. اننى ثائر ... اننى أملك الحق فى أن أعيش كما يحلو لى ! ألا أملك هذا الحق ؟

بلينا : (تداعب شعره) وهذا أيضا سؤال صعب بالنسبة لى ... اننى أعلم شيئا واحدا وهو أنى أعيش كما أستطيع وأفعل ما يحلو لى .. ولو أن أحدا حاول اقناعى بالذهاب الى الدير فلن أذهب ! واذا أجبرنى على الذهاب فسأهرب .. أو أنتحر غرقا ..

بيوتر : انك تقضين معهم من الوقت أكثر مما تقضين معى ... واعجابك بهم أكثر من اعجابك بى ! اننى أشعر بذلك ولكنى أريد أن أقول ـ وأستطيع أن أقول انهم براميل فارغة ...

يلينا : (بدهشة) ماذا ؟ كيف ..

بيوتر : براميل فارغة ... هناك حكاية عن البراميل ..

يلينا : آه .. أعرفها . ولكن أنا أيضا . اذن فأنا أيضا فارغة ؟

بيوتر : أوه كلا ! أنت لا ! أنت تنبضين بالحياة ، أنت كالجدول ينعش الانسان !

يلينا : آها .. اذن أنا فى نظرك باردة ؟

بيوتر : كفى مزاحا ... أرجوك ! ان هذه اللحظة ... ولكنك

تضحكين ! لماذا هل أنا مضحك ؟ انني أريد أن أعيش أريد أن أعيش كما أحب ... كما أشاء ..

بلينا : اذن عش .. من يمنعك ؟

بيوتر : من ؟ هناك شخص ما .. شيء ما ! وعندما أقول لنفسي : يجب أن أعيش هكذا وحيدا .. مستقلا ، يخيل لى أن شخصا ما يقول لى : ـ ممنوع !

بلينا : أهو الضمير ؟..

بيوتر : وما دخل الضمير هنا ... انني ... كلا .. وهل ما أريد أن أفعله جريمة ؟ انني أريد فقط أن أكون حرا ... أقصد أن أقول ..

بلينا : (تميل نحوه) هذا لا يقال هكذا ! عليك أن تقوله بصورة أبسط كثيرا ، سأساعدك ياغلامي المسكين .. لكيلا تختلط عليك مثل هذه الأمور البسيطة ..

بيوتر : يلينا نيكولايفنا ! انك ... تعذبينني ... بمزاحك ! هذه قسوة ! أريد أن أقول لك .. ها أنذا كلى بين يديك !

بلينا : مرة ثانية يخونك التعبير !

بيوتر : يبدو أنني انسان ضعيف .. هذه الحياة أقوى مني ... انني أحس بوضاعتها ، ولكنني لا أملك تغييرا لأى شيء ... لا أملك أن أضيف جديدا اليها .. انني أريد أن أرحل ، وأعيش وحيدا ...

بلينا : (تأخذ رأسه بين يديها) ردد ورائي .. ردد .. انني أحبك !

بيوتر : أوه ! نعم ، نعم ! ولكن ... كلا ، انك ـ تمزحين ! ..

يلينا : صدقني ، لقد قررت منذ زمن بعيد وبجديه أن أتزوجك ! ربما لا يكون هذا لائقا ... ولكنى أريد ذلك ..

بيوتر : ولكن ... كم أنا سعيد ! اننى أحبك .. كم ..

(يسمع خلف الحائط انين تاتيانا . ينتفض بيوتر واقفا وينظر حوله بارتباك . تنهض يلينا بهدوء يقول بيوتر بصوت خافت)

انها تاتيانا ؟ بينما نحن هنا ..

يلينا : (تمر بجواره) نحن لم نفعل شيئا منكرا ..

صوت تاتيانا : أشرب .. اسقونى ..

يلينا : انى قادمة (تبتسم لبيوتر وتنصرف)

(يقف بيوتر واضعا رأسه بين يديه وينظر أمامه شاخصا يفتح باب المدخل قليلا وتهمس اكولينا ايفانوفنا بصوت مرتفع)

اكولينا ايفانوفنا : بيتيا ! بيتيا ! أين أنت ؟

بيوتر : هنـــا ...

اكولينا ايفانوفنا : هيا لتناول الغداء ..

بيوتر : لن أذهب ... لا أريد !

يلينا : (تخرج) سيذهب معى ..

(تنظر اليها اكولينا ايفانوفنا بامتعاض وتختفى)

بيوتر : (يرتمى نحو يلينا) لقد حدث هذا ... بصورة سيئة ! انها ترقد هناك ... بينما نحن ... نحن

يلينا : هيابنا .. ماهو السىء فى ذلك ؟ حتى فى المسرح يقدمون

بعد الدراما شيئا مرحا .. ونحن فى الحياة أحوج ما نكون الى هذا ...

(يلتصق بيوتر بها بحنان فتتأبط ذراعه وتقوده)

تاتيانا : (تئن بصوت متحشرج) لينا ... لينا !

(تدخل بولينا راكضة)

(ستار)

الفصل الرابع

المكان : نفس الغرفة

الوقت مساء : الغرفة يضيئها مصباح موضوع على المنضدة تجمع بوليا الأطباق لتقديم الشاى . تاتيانا ترقد مريضة على الأريكة فى الركن شبه المظلم . تسفيتايفا تجلس على كرسى بجوارها .

●

تاتيانا : (بصوت خافت ولوم) أتظنين أننى لا أريد أن أنظر الى الحياة بمرح وتفاؤل كما تنظرين أنت ؟ أوه ·· اننى أريد ·· ولكنى لا أستطيع ! لقد ولدت بلا ايمان فى القلب ··· وتعلمت أن أجادل ··

تسفيتايفا : عزيزتى ·· أنك تجادلين كثيرا ، ولكن ، أرجو أن توافقينى ، لا يستحق الانسان أن يكون ذكيا فقط لكى يجادل ·· الجدل شيء طيب ·· ولكن لكى لاتكون حياة الانسان مملة وثقيلة عليه أن يكون خياليا الى حدما ·· عليه ــ ولو قليلا ــ أن يتطلع الى أمام ·· الى المستقبل ··

(بوليا تنصت باهتمام الى حديث تسفيتايفا وتبتسم بحنان وتفكير)

تاتيانا : وماذا يوجد هناك ؟

تسفيتايفا : كل ماتودين أن تريه

تاتيانا : نعم ... يجب أن نختلق هذا !

تسفيتايفا : بل يجب أن نؤمن ...

تاتيانا : بماذا ؟

تسفيتايفا : بالأمل ... أتدزين ، عندما أنظر الى أعين تلاميذى أفكر : ها هو ذا توفيكوف . سينهى المدرسة الأولية ويذهب الى الثانوية .. ثم يلتحق بالجامعة .. سيكون طبيبا ... يبدو لى كذلك ! انه غلام جاد واع وطيب ... عالى الجبين . انه شديد الفضول ... شريف .. رائع .. وسوف يعمل كثيرا .. وسيحبه الناس جدا وسيحترمونه .. اننى أعرف هذا ! وذات مرة سيتذكر طفولته ، وسيتذكر كيف أن مدرسته تسفيتايفا كانت تلعب معه ذات مرة فكسرت له أنفه .. كلا ، أعتقد أنه سيتذكر ... فهو يحبنى جدا . وكذلك عندى كلوكوف ، الشارد الذهن ، الرث الهيئة .. والملطخ دائما . انه كثير الجدل ، مشاكس وشقى . وهو يتيم، يعيش فى كنف عمه الحارس الليلى انه شحاذ تقريبا .. ولكنه عزيز النفس وشجاع ! أعتقد أنه سيصبح صحفيا .. آه ، ما أكثر ما لدى من الأولاد الظرفاء .. ودائما أجد نفسى ، رغما عنى أفكر فى مستقبلهم ، فى الدور الذى سيلعبونه فى الحياة ... انه لمن الممتع حقا أن أتصور كيف سيعيش تلاميذى .. أترين ياتانيا ، ان هذا حقا قليل ... ولكن لو علمت كم هو ممتع !

تاتيانا : وأنت ؟ أين أنت فى هذا ؟ سيحيا تلاميذك ، ربما حياة طيبة ... ولكنك ساعتها ستكونين قد ...

تسفيتايفا : مت ؟ ألا هذا ! كلا ، لقد عقدت العزم أن أعيش طويلا ...

بوليا : (بصوت خفيض رقيق كأنها تتنهد) ما أرقك ياماشا ، ما أروعك !

تسفيتايفا : (تبتسم لبوليا) ها هو ذا العصفور الصغير يغرد ! ••• أتدرين ياتانيا ••• انني لست عاطفية •• ولكنى عندما أفكر فى المستقبل ••• فى النـــاس فى المستقبل ••• فى الحياة أشعر بحزن عذب •• كان يوما خريفيا صـــحوا أشرق فى قلبى ••• أتدرين •• يحدث أحيانا فى ـ الخريف أن تهل بعض الأيام ، تكون فيها السماء صافية والشمس هادئة زهية والهواء عميقا ، شفافا ، وكل شيء يبـــدو فى الأفق واضحا ••• منعشــا وليس باردا ، دافئــا وليس حارا ••••

تاتيانا : كل هذا ••• خرافات ••• وعلى العموم فانى أفترض أنه ربما تكونين ـ أنت ونيل وشيشكين ـ وكل من يشبهكم ••• •• ربما تكونون قادرين على أن تعيشوا بالأمل ••• أما أنا ••• فلا أستطيع

تسفيتايفا : كلا ،مهلا ••• ليس بالأمل وحده •••

تاتيانا : لم يبد لى أبدا أى شيء حقيقيا ••• اللهـم الا أن هـذا الشخص هو أنا ••• وهذا حائط ••• وعندما أقول نعم أولا •• فانني لا أقول ذلك عن اقتناع ••• وانما هكذا •• انني فقط أجيب : كلا ! وعلى الفور أقول لنفسى أهو حقا كذلك ؟ أليس من الجائز أنه نعم ؟

تسفيتايفا : وهل يعجبك هذا •• أنظرى لنفسك •• هل تجدين راحة فى •• فى ازدواج الشخصية هذا ؟ أليس من الجـــائز أنك تخشين أن تؤمنى •• ان الايمان كما تعلمين مسئولية !

تاتيانا : لست أدرى ٠٠ لست أدرى ٠٠ اجعلينى أومن ٠٠ ألستم تجعلون الناس يؤمنون بأفكاركم (تضحك بصوت خفيض) اننى أرثى لأولئك الذين يصدقونكم ٠٠٠ انكم تخدعونهم ! الحياة كانت دائما كما هى الآن وستظل كذلك الى الأبد !

تسفيتايفا : (تبتسم) أحقا كذلك ؟ أليس من الجائز أنه كلا ؟

بوليا : (كأنها تخاطب نفسها) كلا !

تاتيانا : ماذا قلت ؟

بوليا : أقول أنها لن تكون كذلك !

تسفيتايفا : رائع أيها العصفور الصغير الهادىء ٠٠ !

تاتيانا : اليك واحدة من المؤمنين ٠٠ البؤساء ! هلا سألتها لماذا كلا ؟ لماذا ستتغير الحياة ؟ اسأليها ٠٠٠

بوليا : (بصوت هادىء وتقترب منها) ان القضية هى أن ــ الحياة لم تصبح بعد ملكا للجميع ! فقليل من الناس يستمتعون بالحياة ٠٠٠ أما الغالبية فليس لديهم الوقت حتى لكى يعيشوا ٠٠٠ فهم فقط يعملون من أجل لقمة العيش ٠٠٠ أما حينما ٠٠٠

شيشكين : (يدخل مسرعا) مساء الخير (لبوليا) مرحبا يا ابنة الملك دونكان الشقراء ٠

بوليا : ماذا ؟ أى ملك ؟

شيشكين : أهـا ! ضبطتك ! الآن أرى أنك لم تقرئى « هاينى » مع أن الكتاب لديك منذ أكثر من أسبوعين ٠ مرحبا ياتاتيانا فاسيليفنا !

تاتيانا : (تمد له يدها) الكتب لا تهمها الآن •• فهى ستتزوج ••

شيشكين : حقا ؟ بمن ؟ هه ؟

تسفيتايفا : من نيل ••

شيشكين : آه •• فى هذه الحالة يمكننى أن أهنئها •• ولكن اذا تكلمنا بشكل عام ، فان الزواج وما شابه ذلك ليست أشياء حكيمة •• ان الزواج فى الظروف الحالية ••

تاتيانا : أوه ، كلا لا داعى (اعفنا من هذا ، فقد سبق أن أبديت رأيك فى هذا الموضوع ••

شيشكين : ما دام الأمر كذلك فسأصمت ، وبالمناسبة ليس لدى وقت (يتوجه الى تسفيتافيا) هل تأتين معى ؟ رائع ! أين بيوتر؟

بوليا : فوق ••

شيشكين : هم ! كلا •• لن أذهب اليه ، سأطلب اليه ، يا تاتيانا فاسيلييفنا •• أو أنت يا بوليا •• أخبريه أننى •• مرة أخرى •• قد •• أعنى ان دروسى انتهت عند بروخورف •

تسفيتايفا : مرة ثانية ؟ كم أنت سىء الحظ ••

تاتيانا : هل تشاجرتما ؟

شيشكين : اذا أردنا الدقة •• لم نتشاجر بشدة •• لقد كنت متمالكا نفسى فى ••

تسفيتايفا : وما السبب فى ذلك ؟ ألم تكن تمتدح بروخورف ؟

شيشكين : يا للأسف ! كنت أمدحه •• فليخطفه الشيطان ! وفى الواقع •• فهو أفضل من كثير •• وليس غبيا •• لكنه متكبر بعض الشىء •• وثرثار ، وعموما (فجأة وبحرارة) فهو حيوان حقيقى !

تاتيانا : لا أظن أن بيوتر سيحصل لك على دروس بعد الآن ..

شيشكين : نعم .. أظن أنه سيغضب ..

تسفيتايفا : ولكن الذى حدث بينك وبين بروخروف ؟

شيشكين : تصورى أنه .. متعصب ؟

تاتيانا : وما دخلك أنت فى ذلك ؟

شيشكين : لا .. ان هذا لا يليق بانسان مثقف ! وعموما فهو بورجوازى ـ اليك مثلا هذه القصة : لقد كانت خادمته تذهب الى مدارس الأحد . رائع ! فهو نفسه كان يعدد لى بملل فوائد مدارس الأحد .. الأمر الذى لم أطلبه منه مطلقا . بل انه كان يفتخر بأنه ـ حسب ادعائه ـ كان واحدا من بين الذين بادروا الى تنظيم هذه المدرسة ثم حدث منذ مدة قريبة أن جاء الى المنزل يوم الأحد فيا للهول ! لقد فتحت له البــاب مربيته وليس الخادم .. أين ساشا ؟ انها فى المدرسة . أها ! ومن يومها حرم عليها الذهاب الى المدرسة .. كيف تسمين هــذا .. خبرينى !

(تاتيانا تهز كتفيها فى صمت)

تسفيتايفا : وكم كان يتفاخر ..

شيشكين : على العموم ، ان بيوتر يحصل لى على الدروس عند أناس كالبهلوانات وكأنه يسخر منى ..

تاتيانا : (بجفاء) اننى أذكر أنك كنت تمتدح كثيرا ذلك الصراف .

شيشكين : نعم .. طبعا .. لقد كان عجوزا طيبا .. ولكنه من هواة جمع النقود ! يدرس لى قرب أنفى مختلف القطع المعدنية .. ويحدثنى عن القياصرة والأباطرة ومختلف الفراعنة ذوى العجلات الحربية . لقد أرهقنى وهد قواى . فقلت له : اسمع يافيكينتى

فاسيليفتيش ! أعتقد أن كل هذا هراء ! ان أى حجر أقدم من قطعك المعدنية هذه ·· فغضب وقال : اذن فقد ضيعت من عمرى خمسة عشر عاما على الهراء ·· هكذا ؟ فأجبته بالايجاب· وعندما دفع لى حسابى خصم نصف روبل ·· ربما أبقاه لاستكمال مجموعته · ولكن هذه أمور تافهة·· أما مع بروخروف فاننى ·· نعم ·· (بحزن) ان لى خلقا سيئا (بعجلة) اسمعى ياماريا نيكيتيشنا ، لقد أزف الوقت !

تسفيتايفا : اننى على استعداد ·· الى اللقاء يا تانيا ·· غدا الأحد سآتى اليك فى الصباح ··

تاتيانا : أشكرك ·· يخيل الى حقا اننى أشبه نباتا متسلقا تحت أقدامكم ·· لا جمال فى ولا فرحة ·· بينما أعرقل الناس عن الحركة بالتفافى عليهم ··

شيشكين : يا للأفكار السيئة !

تسفيتايفا : أحقا كذلك ؟ أليس من الجائز أنه لا ؟

تاتيانا : انك تتهكمين بى ·· ولكن هل يليق ؟ أيليق بك أن تسخرى منى ؟ هل يليق ؟

تسفيتايفا : كلا يا تانيا ، كلا يا عزيزتى ! لست أنت التى تتكلم الآن بل مرضك والارهاق · حسنا ، الى اللقاء · ولا تعتبرينا غلاظا أشرارا ··

تاتيانا : اذهبى ·· الى اللقاء ··

شيشكين : (لبوليا) حسنا ·· متى ستشرعين فى قراءة هاينى ؟ أوه ، نعم ، انك ستتزوجين ! كان من الممكن أن أقول شيئا ما ضد هذا ولكن ·· الى اللقاء ! (ينصرف فى أثر تسفيتايفا)

صمت

بوليا : أظن أن صلاة المساء ستنتهى قريبا ·· هــل أخبرهم بأن يعدوا السماور ؟

تاتيانا : لا أظن أن والداى سيتناولان الشاى ·· وعلى العموم كما تشائين ·

صمت

تاتيانا : فى الماضى كان الهدوء يرهقنى · أما الآن فاننى أشعر بالراحة عندما يكون البيت هادئا ·

بوليا : ألم يحن وقت الدواء ؟

تاتيانا : كلا ·· فى الفترة الاخيرة كان الجو هنا يســـوده الضجيج والصراخ ·· ياله من انسان مزعج هذا الشيشكين ··

بوليا : (تقترب منها) انه انسان طيب ··

تاتيانا : طيب القلب ·· غير أنه غبى ··

بوليا : انه رائع ·· شجاع · حيثما وجد ظلما يتصدى له أنظرى·· لقد لاحظ الخادمة · ومن الآن يلاحظ كيف يعيش الخــدم وغيرهم ممن يعملون لدى الأغنياء · ولو لاحظ أحد ، فهل يدافع عنهم ؟

تاتيانا : (دون أن تنظر الى بوليــا) خبرينى يا بوليــا ·· ألا تخشين ·· أن تتزوجى من نيل ؟

بوليا : (بهدوء ودهشة) ومم أخشى ؟ كلا ، اننى لا أخشى شيئا ·

تاتيانا : مم ؟ لو كنت أنا ·· لخفت · اننى أتحدث فى هذا معك لأننى ·· أحب ·· ك ! أنت لست مثله ·· أنت بسيطة ·· وهو قد قرأ كثيرا ويعتبر مثقفا ربما أصابه الملك معك ·· هــل فكرت فى هذا يابوليا ؟

بوليا : كلا • اننى أعلم أنه يحبنى ••

تاتيانا : (بِأسى) وكيف يمكن معرفة ذلك ! ••

(يدخل تيتريف حاملا السماور)

بوليا : أوه ، أشكرك •• سأذهب لاحضار اللبن (تنصرف)

تيتريف : (لم يفق بعـــــد من الشراب ويبدو متورما) كنت مارا بجوار المطبخ واذا سيتيانيدا تتضرع الى : « يا أبتاه •• احمل عني السماور ، فربما أعطيتك بعض الخيار أو شيئا من شراب الخيـــار المملـح اذا ما طلبت •• » فاستجبت للاغراء فانى أكول •

تاتيانا : هل أنت قادم من صلاة المساء ؟

تيتريف : كلا • لم أذهب اليوم • رأسى ينفجر • وأنت كيف حالك ؟ أحسن ؟

تاتيانا : لابأس ، شكرا ، لقد سمعت هذا السؤال اليوم عشرين مرة •• كنت أشعر بنفسى أفضل بكثير لو كان الجو لدينا أقــل ضجيجا •• ان هذه الجلبة تثيرنى قليلا •• الكل ينطلقون الى مكان ما ، يصرخون • أبى يغضب من نيل ، وأمى لا تكف عن التنهد •• وأنا أرقد أنظر •• ولا أرى أى معنى فيما يسمونه هم ، كل هؤلاء ، ــ بالحياة •

تيتريف : كلا ، انه لشيء يثير الفضول ! أنا شخص غريب ، لا صلة لى بما يحدث على الأرض ، وأعيش على الفضول ، وأعترف لك أن الحياة هنا طريفة ؟

تاتيانا : أنت شخص قنوع ، أنا أعلم • ولكن ما هو الطريف هنا ؟

تيتريف : هو أن الناس يضبطون أنفسهم للحياة • اننى أحب سماع

الموسيقيين فى المسرح وهم يضبطون آلاتهم فتلتقط الأذن كثيرا من النغمات المنفردة الصحيحة بل وأحيانا تسمع جملة جميلة ·· وتستبد بك رغبة عارمة فى أن تسمع بسرعة ما الذى سوف يعزفه الموسيقيون ؟ من منهم العازف المنفرد ؟ وما هى القطعة الموسيقية ؟ وهنا أيضا ·· يضبطون أنفسهم ··

تيتريف : فى المسرح ·· نعم · هناك يأتى قائد الفرقة ويلوح بعصاه فيبدأ الموسيقيون بلا حماس وبطريقة غثة يعزفون شيئا ما قديما ، مكررا ·· أما هنا ·· فما الذى يستطيع هؤلاء أن يعزفوه ؟ لست أدرى ··

تيتريف : ربما لحنا ما سريعا ·

تاتيانا : سنرى ··

(صمت)

(يدخن تيتريف غليونه)

تاتيانا : لماذا تدخن غليونا وتترك اللفائف ؟··

تيتريف : هذا أسهل · انى كما تعلمين جوال ، أقضى معظم العام فى الترحال · وعما قريب سأرحل من جديد · ما أن يحل الشتاء حتى أنطلق ·

تاتيانا : الى أين ؟

تيتريف : لست أدرى ·· على كل حال يستوى الى أين أرحل ·

تاتيانا : ستتجمد فى مكان ما ·· بينما تكون ثملا ··

تيتريف : أنا لا أشرب مطلقا فى الطريق · ولو تجمدت ·· ماذا فى ذلك ؟ من الأفضل أن تتجمد وأنت تسير من أن تتعفن وأنت قابع فى مكانك ·

تاتيانا : انك تلمح الى ، أليس كذلك ؟

تيتريف : ينتفض فزعا) أستغفر الله ! ماذا تقولين ؟ وهل أنا ..
هل أنا وحش ؟

تاتيانا : (بابتسامة) لا تقلق ، ان هذا لا يغضبنى . انى مصابة
بفقدان الاحساس بالألم . (بمرارة) الجميع يعلمون أنه لايجب
اغضابى .. نيل وبلاجيا وبلينا وماشـــا .. انهم يتصرفون
كالأغنياء الذين لا يهتمون بشعور الشحاذ .. ولا فيم يفكر
عندما يراهم يلتهمون أندر المأكولات ..

تيتريف : (يقطب وجهه ويصر على أسنانه) لم هذه المهانة . يجب
احترام النفس ..

تاتيانا : حسنا ، فلندع هذا ..

(صمت)

تاتيانا : حدثنى قليلا عن نفسك .. انك لا تتحدث مطلقا عن نفسك
.. لماذا ؟

تيتريف : المادة كبيرة ، ولكنها ليست مشوقة .

تاتيانا : كلا ، حدثنى .. لماذا تعيش .. هكذا ؟ انك تبدو لى ذكيا ،
موهوبا .. ما الذى حدث لك فى الحياة ؟

تيتريف : (يصر على أسنانه) ماذا حدث ؟ أوه أنها قصة طويلة ..
مملة .. ولو قصصتها عليك بكلمات من عندى فاننى :

غدوت أطلب الشمس والسعادة
فعدت أدراجى عريانا .. حافى القدم
وأثناء بحثى عنهما ..

ولكن هذا التصوير يبدو جميلا جدا بالنسبة لحالتى ‥ مع أنه موجز ‥ ويجب أن أضيف اليه أنه من الأجدى والمفيد للانسان فى روسيا أن يكون سكيرا ، شريدآ ، من أن يكون شريفا ، نافعا ، وفى وعيه ٠

(يدخل نيل وبيوتر)

ولن يشق أحد طريقه الا اذا كان مستقيما وصلبا لدرجة القسوة ‥ آه ‥ أهو أنت يا نيل ؟ من أين ‥

نيل : من الورشة ‥ وبعد معركة أحرزت فيها انتصارا رائعا ٠ ان رئيس الورشة ذاك الأحمق ‥

بيوتر : أعتقد أنهم سيطردونك من العمل قريبا ‥

نيل : سأجد غيره ‥

تاتيانا : أتدرى يابيوتر ‥ لقد تشاجر ششكين مع بروخروف ‥ ولم يجرؤ على أن يقول لك هذا بنفسه ‥

بيوتر : (بسخط وغيظ) فليخطفه الشيطان ! هذا لا يحتمل ! فى أى موقف أحمق يضعنى أمام بروخروف ؟ ثم انه فى النهاية يحرمنى من امكانية جلب النفع لزميل ‥

نيل : تريث قليلا قبل أن تغضب ، هلا عرفت أولا من المخطىء ؟‥

بيوتر : اننى أعرف هذا ‥

تاتيانا : لم يعجب شيشكين أن بروخروف متعصب ! ‥

نيل : (ضاحكا) يا له من ديك رقيق !

بيوتر : طبعا ، ان هذا يروق لك ٠ أنت أيضا ليس عندك أى شعور باحترام آراء الآخرين ‥ أيها المتوحشون ٠

نيل : مهلا .. وهل تميل أنت نفسك الى احترام شخص متعصب ؟

بيوتر : ولكنى لا أعطى لنفسى الحق ، بأى حال من الأحوال ، أن آخذ بتلاليب أحد !

نيل : أما أنا فآخذ بها !

تيتريف : (يجيل بصره بينهما) خذ !

بيوتر : ومن أعطاك .. من أعطاك هذا الحق ؟

نيل : الحقوق لا تعطى ، الحقوق تؤخذ .. على الانسان أن ينتزع حقوقه بنفسه اذا كان يريد ألا تسحقه تلال الواجبات .

بيوتر : اسمح لى ..

تاتيانا : (يسأم) ها هو النقاش يغلى .. النقاش الأزلى ! ألا تملان هذا ؟

بيوتر : (يكبح جماح نفسه) آسف .. لن أفعل ! ولكن حقا ، ان شيشكين هذا يضعنى ..

تاتيانا : أعرف .. انه أحمق !

نيل : انه فتى رائع .. فهو لا يدع أحدا يدوس على طرفه ، ليس هذا فحسب ، بل هو البادىء بالدوس على طرف من تسول له نفسه . ما أجمل أن يكون فى الانسان كل هذا الشعور بالعزة الانسانية .

تاتيانا : لعلك أردت أن تقول : كل هذه الصبيانية ؟

نيل : كلا ، وأنا لم أخطىء .. ومع ذلك فلتكن هذه صبيانية .. ولكنها جميلة !

بيوتر : مضحكة !

نيل : أخطأت ، فعندما تطوح بعيدا بلقمة الخبز ، التى هى كل ما لديك ، فقط لأنك تكره الشخص الذى يقدمها لك .

بيوتر : هذا يعنى أن من يلقى بالخبز ليس جائعا الى هذه الدرجة .. أنا أعلم أنك ستعارضنى . فأنت نفسك تشبه هذا الشخص .. أنت أيضا .. طفل .. انك تحاول دائما أن تظهر لأبى أنك لا تكن له أى ذرة من الاحترام .. لماذا ؟

نيل : ولماذا أخفى هذا ؟

تيتريف : يابنى .. الأصول تقضى بأن يكذب الناس

بيوتر : قل لى أى معنى فى تصرفك هذا ؟ أى معنى ؟

نيل : لن يفهم أحدنا الآخر يا أخى .. هذا كل ما فى الأمر أن كل ما يفعله أبوك أو يقوله .. لا أطيقه ..

بيوتر : وأنا كذلك لا أطيقه .. ربما ! ولكنى أكبح جماحى أما أنت فتستفزه باستمرار .. ونحن ندفع ثمن هذا الاستفزاز .. أنا وأختى ..

تاتيانا : كفاكما .. لقد تملكنى الملل !

(ينظر نيل اليها ثم يتجه الى المنضدة)

بيوتر : هل الحديث يقلقك ؟

تاتيانا : لقد مللت .. نفس الكلام .. دائما نفس الكلام !

(تدخل بوليا وفى يدها صفيحة بها لبن . وعندما ترى أن نيل يبتسم حالما تنظر الى الحاضرين وتقول).

بوليا : أنظروا ، كم هو سعيد !

تيتريف : لماذا تضحك ؟

نيل : أنا ؟ أنني أتذكر كيف وبخت رئيس الورشة •• الحياة ! يا لها من شيء ممتع !

تيتريف : (بصوت خفيض ممتلىء) آمين !

بيوتر : (يهز كتفيه) يا للعجب ! هـل يولد المتفائلون عميان أم ماذا ؟

نيل : سواء كنت متفائلا أم لا ، فهذا لا يهم •• لكن الحياة تروق لى • (ينهض ويخطو) انها متعة كبيرة أن تعيش على الأرض !

تيتريف : نعم شيء يثير الفضول !

بيوتر : اذا كنتما مخلصين فى هذا فانكما مضحكان !

نيل : أما أنت •• فلا أدرى كيف أسميك ؟ أنا أعلم ــ وعلى العموم فليس هذا بخاف على أحد ــ أنك تحب وأن شخصا يحبك • حسنا ، ألا تساورك لهذا السبب على الأقل رغبة فى أن تغنى، ترقص ؟ أمن المعقول أن هذا لا يبعث فيك الفرحة ؟

(تنظر بوليا الى الجميع من خلف السماور بفخر • تاتيانا تتقلب بقلق محاولة أن ترى وجه نيل • يبتسم تيتريف وهو ينظف غليونه من الرماد) •

بيوتر : انك تنسى بعض الأمور • فأولا : غير مسموح للطلبة بالزواج، وثانيا : على أن أخوض معركة ضد والدى ، وثالثا •••

نيل : وا أبتاه ! ما هذا كله ؟ اذن لم يبق لك الا أن تهرب •• أهرب الى الصحراء !

(تبتسم بوليا)

تاتيانا : انك تخرف يا نيل ••

نيل : كلا ، يابيتروخا كلا ، ان الحياة ـ حتى بدون حب شيء طيب ! أن يقود القطارات السيئة فى ليالى الخريف ، تحت عاصف الريح والمطر ·· أو فى الشتاء ·· فى العاصفة الثلجية ، عندما لا ترى حولك الأرض التى تمر بها فكل شيء تلفه الظلمة ويغطيه الثلج ·· ان السير فى هذا الوقت يصبح مضنيا ، شاقا ·· خطرا ان شئت ! ومع ذلك ففيه سحره الخاص ! نعم فيه شيء واحد لا أرى فيه ما يسر ، وهو أن تتحكم الخنازير والحمقى واللصوص فى الناس الشرفاء ·· ولكن الحياة ليست كلها لهم ·· سيندثرون ، كما تندثر القروح من الجسد السليم · لا يوجد جدول مواعيد لا يقبل التغيير !

بيوتر : لقد سمعت هذا الكلام أكثر من مرة ، فلنر كيف تجيبك الحياة على هذا !

نيل : سأجعلها تجيبنى الاجابة المطلوبة · لا تخوفنى ! ننى أدرى منك بأن لحياة صعبة ، وأنها أحيانا قاسية لدرجة فظيعة ، وأن القوة الغاشمة الفظة تعصر الانسان وتسحقه ·· أعلم هذا ·· وهو لا يروق لى ، ويستفزنى ! اننى لا أريد هذا النظام · اننى أعرف أن الحياة أمر جاد ولكنه غير منسق ·· وسيتطلب تنسيقه كل قواى وقدراتى · كما أعرف اننى لست عملاقا ، وانما مجرد انسان شريف قوى ، ومع ذلك أقول : لا بأس سيكون النصر حليفنا ! وسأعمل بكل طاقات روحى على اشباع رغبتى فى النزول الى خضم الحياة وأخوض أوحالها أعرقل هذا وأساعد ذلك ·· فى هذا تكمن فرحة الحياة ··!

تيتريف : (بسخرية) فى هذا مغزى العلم العميق ! فى هذا مغزى الفلسفة بأسرها ! وأية فلسفة بعد ذلك ملعونة ·

يلينا : (بالباب) فيم هذا الصراخ والتلويح بالأيدى ؟··

نيل : (يرتمى نحوها) سيدتى ٠٠ أنت من سيفهمنى ٠٠ لقد كنت أغنى الآن تمجيدا للحياة ٠٠ هيا ، قولى ، أليست الحياة متعة؟

بوليا : (بصوت خفيض) الحياة رائعة ٠

يلينا : ومن ضد هذا ؟

نيل : (لبوليا) آه ٠٠ يا رائعتى الهادئة ٠

يلينا : ممنوع الغزل أمامى ٠

بيوتر : ما هذا بحق الشيطان ٠٠ ! كما لو كان تملا ٠٠ (تلقى تاتيانا برأسها على ظهر الأريكة وترفع يديها ببطء وتغطى بهما وجهها)

يلينا : مهلا ٠٠ هل كنتم تزمعون تناول الشاى ؟ لقد جئت لأدعوكم حسنا فلأبق هنا معكم ٠٠ فالجو عندكم اليوم مرح ٠٠ (الى تيتريف) وأنت ، أيها الغراب الحكيم ، لماذا تحفزت وحدك ؟

تيتريف : اننى أيضا مرح ٠٠ غير أنى أحب أن أمرح فى صمت ، وأضجر بصوت عال ٠٠

نيل : مثل كل الكلاب الكبيرة ، الذكية ، الكئيبة ٠٠

يلينا : اننى لم أرك مطلقا لا حزينا ولا سعيدا ٠٠ وانما فقط متفلسفا ٠٠ هل تعلمون أيها السادة هل تعلمين يا تانيا أنه يعلمنى الفلسفة ؟ لقد قرأ لى بالأمس محاضرة كاملة عما يسمى بقانون الأساس الكافى ٠٠ أوه ٠٠ لقد نسيت كيف يعبر عن هذا القانون العجيب ٠٠ بأية كلمات ؟ هه ٠

تيتريف : (مبتسما) لا يوجد شيء بلا أساس لأن الأساس موجود ٠

يلينا : هل سمعتم ؟ انظروا أى أشياء حكيمة أعرفها ٠٠ انكم مثلا لا تعرفون أن هذا القانون يعتبر ٠٠ ان كلمة «يعتبر» هذه كلمة

فلسفية حقيقية .. يعتبر .. شيئا أشبه ما يكون بالضرس لأن له أربعة جذور .. أليس كذلك ؟

تيتريف : ليس لى قبل بمجادلتك ...

يلينا : طبعا ! وهل كنت تجرؤ ؟ ان الجذر الأول ـ وربما ـ ليس الأول ـ وهو قانون الأساس للوجود .. الوجود هو المادة فى أشكالها .. أنا مثلا مادة أخذت ـ ليس بدون أساس ـ شكل امرأة .. ولكن ـ بدون أى أساس ـ محرومة من الوجود . ان الوجود خالد أما المادة فى أشكالها فتبقى على الأرض ثم تتلاشى . أليس كذلك ؟

تيتريف : لا بأس .. ليكن ..

يلينا : وأعرف كذلك أنه توجد علاقة سببية وكذلك المسلمات والاستدلال من المعلول ولكنى نسيت من يكون هؤلاء ! واذا لم أصبح بفعل كل هذه الأشياء الحكيمة صلعاء ، فسوف أصبح ذكية . أما أكثر الأمور طرافة وحكمة فى الفلسفة فهو : لماذا تحدثنى عن الفلسفة يا تيرفتى خريسانفوفيتش ؟

تيتريف : أولا : لأننى أشعر بسرور بالغ عندما أنظر اليك ..

يلينا : شكرا ، وثانيا : ربما لأنك لا تجد فى النظر الى أى طرافة ..

تيتريف : وثانيا : لأن الحالة الوحيدة التى لا يكذب فيها الانسان ، هى عندما يتفلسف ، انه ساعتها يختلق فقط ..

يلينا : لم أفهم شيئا ! نعم .. كيف حالك يا تانيا ؟ (بدون أن تنتظر جوابا) بيوتر .. فاسيلييفيتش ، ماذا يضايقك ؟

بيوتر : نفسى ..

نيل : وأشياء أخرى ؟

يلينا : أتدري • انني أشعر برغبة شديدة في الغناء ! كم هو مؤسف أن اليوم سبت وأن صلاة المساء لم تنته بعد !

(يدخل الوالدان)

آه ! ها قد جاء المتعبدان •• مرحبا !

بيسيمينوف : (بجفاء) تقبلي احترامأتنا ••

أكولينا ايفانوفنا : (تبدو أيضا غير راضية) مرحبا ياسيدتي •• ولكننا سبق أن تبادلنا التحية اليوم •

يلينا : آه •• حقا •• لقد نسيت •• حسـنا •• هل كان الجو في الكنيسة حارا ؟

بيسيمينوف : لم نذهب الى هناك لنقيس حرارة الجو ! • • •

يلينا : (بخجل) أوه •• طبعا لا •• لم يكن قصدي أن أسأل عن هـذا •• أردت أن أسأل : هـل كانت الكنيسة مزدحمة بالمصلين ؟

اكولينا ايفانوفنا : لم نحص الناس يا سيدتي

يوليا : لـ(بيسيمينوف) هل ستتناولون الشاي ؟

بيسيمينوف : سنتعشى أولا •• اذهبي أيتها الأم لتعدى العشاء •• (تنصرف أكولينا ايفانوفنا وهي تشن بأنفها)

يصمت الجميع • تنهض تاتيانا وتنتقل الى المائدة • تسندها يلينا • يجلس نيل مكان تاتيانا وبيوتر يذرع الغرفة تيتزيف الجالس بجوار البيانو يراقب الجميع مبتسما تجلس بوليا أمام السماوز أما بيسـيمينوف فيجلس في الركن على الصندوق)

لقد أصبح الناس لصوصا ·· شيء غريب ! عندما كنت ذاهبا مع الأم للصلاة وضعت لوحا من الخشب عند الباب لكى نعبر عليه فوق الوحل · وعندما عدنا كانت قطعة الخشب قد اختفت ·· سرقها أحد الأشقياء ·· لقد تفشى الفساد فى الحياة ··

(صمت)

فى الماضى كان الأشقياء أقل ·· فقد كانت معظم أعمال السطو يقوم بها أناس حقيقيون ·· لأن الجميع كانوا من ذوى النفوس الكبيرة ·· كانوا يخجلون أن يقلقوا ضمائرهم من أجل أشياء تافهة ··

(تسمع أصوات غناء وعزف على الأوكرديون تردد فى الشارع)
هه ·· يغنون ! اليوم سبت وهم يغنون ··

(يقترب الغناء ويتميز صوتان)

لابد أنهم الحرفيون · لابد أنهم ثملوا ·· ذهبوا الى الحانة فشربوا بمرتباتهم ، وها هم يمزقون حناجرهم ··

(يسمع الغناء تحت النوافذ · يلصق نيل وجهه فى الزجاج ويحدق فى الشارع)

سيعيشون هكذا عاما ·· أو عامين على الأكثر ·· وينتهون·· يصبحون متسولين وأشقياء ·

نيل : يبدو أنه بيرتشيخين ··

اكولينا ايفانوفنا : (من خلف الباب) هيا الى العشاء أيها الأب ··

بيسيمينوف : (ناهضا) بيرتشيخين ·· انه أيضا شخص ·· لافائدة من وجوده ·· (ينصرف)

يلينا : (تشيعه بنظراتها) ان شرب الشاى لدى أفضل ..

نيل : لقد كنت بارعة فى حديثك مع الوالدين ..

يلينا : أنا .. انه يخجلنى .. انه لا يحبنى .. وهذا يجعلنى أشعر . بالضيق .. بل بالغضب .. لماذا لا يحبنى ؟

بيوتر : انه فى الواقع شيخ طيب .. ولكنه يتمتع بحب كبير لذاته.

نيل : وهو بخيل بعض الشىء .. وحقود بعض الشىء ..

بوليا : صه .. لماذا تتكلمون هكذا عن شخص فى غيابه ؟ هــذا لا يليق !

نيل : كلا .. ان ما لا يليق هو أن تكون بخيلا ..

تاتيانا : (بجفاء) أقترح أن نترك .. هذا الموضوع بدون بحث .. ربما يأتى أبى فى أى لحظة .. انه فى الأيام الثلاثة الأخيرة لم يتشاجر مع أحد .. ويحاول أن يكون رقيقا مع الجميع ..

بيوتر : وهذا يكلفه الكثير ..

تاتيانا : يجب أن نقدر هذا .. انه عجوز .. وليس ذنبه أنه ولد قبلنا .. ولا يفكر كما نفكر نحن .. (تثور) كم من القسوة فى قلوب الناس ! يا لنا من قساة غلاظ .. يعلموننا أن يحب أحدنا الآخر .. ويقــولون لنا : كونوا طيبــين .. كونــوا وادعين ..

نيل : (بنفس النغمة) ويجلسون على رقابنا ويركبوننا (تقهقــه يلينا . تبتسم بوليا وتيتريف . يريد بيوتر أن يقول شيئا ما لنيل ويتجه نحوه . تاتيانا تهز رأسها بتأنيب) .

بيسيمينوف : (يدخل ويوجه الى يلينا نظرة عدائية) بالاجيا ..

أبوك هنا .. فى المطبخ .. اذهبي وأخبريه بأن يأتي في مرة قادمة .. عندما يكون في وعيه .. نعم .. قولى له : اذهب الى البيت يا أبى .. وخلافه !

(تخرج بوليا يتبعها نيل)

اذهب أنت أيضا وانظر الى .. مم ! (يقطع كلامه ثم يجلس الى المنضدة) لماذا تصمتون ؟ اننى ألاحظ أنه بمجرد ظهورى بالباب تغلقون أفواهكم جميعا .

تاتيانا : نحن ... حتى بدونك .. لا نتكلم كثيرا ...

بيسيمينوف : (ينظـر الى يلينـا من تحت حاجبيـه) ومم كنتـم تضحكون ؟

بيوتر : لا شيء .. تفاهات .. نيل ..

بيسيمينوف : نيل ! كل ما يحدث بسببه .. لقد كنت أعرف هـذا ..

تاتيانا : هل أصب لك الشاى ؟

بيسيمينوف : صبى ..

يلينا : خل عنك ياتانيا .. سأصبه أنا ..

بيسيمينوف : كلا ، ولماذا تزعجين نفسك ؟ ستصب لى ابنتى .

بيوتر : أظن أنه سيان من يصب ؟ ان تانيا مريضة .

بيسيمينوف : لم أسألك رأيك فى الموضوع .. أما اذا كان الغرباء أقرب اليك من أهلك ..

بيوتر : أبى ! كيف لا تخجل من قولك هذا ؟

تاتيانا : ها قد بدأنا .. كن عاقلا يا بيوتر !

يلينا : (تغتصب ابتسامة) لا داعى لذلك ..

(يفتح الباب على مصراعيه ويدخل بيرتشيخين . يبدو ثملا ولكن ليس الى درجة كبيرة)

بيرتشيخين : فاسيلى فاسيليفتش .. لقد جئت الى هنا فذهبت أنت ولكنى جئت ثانية خلفك ..

بيسيمينوف : (دون أن ينظر اليه) ما دمت جئت فاجلس .. ها هو الشاى فلنشرب .. حسنا ..

بيرتشيخين : لست بحاجة الى الشاى .. اشربه أنت هنيئا مريئا . انما جئت للحديث ..

بيسيمينوف : أى حديث ؟ انما هى تفاهات .

بيرتشيخين : تفاهات حقا ؟ (يضحك) يا لك من عجيب !

(يدخل نيل ويقف بجوار الدولاب ويحدج بيسيمنوف بنظرات قاسية)

منذ أربعة أيام وأنا أريد أن آتى اليك .. وها أنذا قد جئت .

بيسيمينوف : حسنا ..

بيرتشيخين : كلا . ليس حسنا يا فاسيلى فاسيليفتش ! انك انسان ذكى .. انسان غنى .. وأنا جئت قاصدا ضميرك !

بيوتر : (يقترب من نيل ويقول بصوت منخفض) لماذا تركته يدخل هنا ؟

نيل : دعه ، ان هذا لا يخصك !

بيوتر : انك دائما تفعل أشياء .. الشيطان يعلم ما هى ..

بيرتشيخين : (يطغى على صوت بيوتر) أنت شخص عجوز .. أنا أعرفك منذ أمد بعيد ؟..

بيسيمينوف : (بغضب) ماذا تريد ؟

بيرتشيخين : خبرني ، لماذا طردتني من بيتك منذ مدة ؟ لقد فكرت وفكرت ولـكنني لم أفهم لمـاذا ‥ خبرني يا أخي ‥ لقد جئتك بلا حقد ، بل بالحب جئتك ‥

بيسيميئوف : ساعدني برأس فاسد ‥ هذا ما هناك !

تاتيانا : ساعدني يا بيوتر ‥ كلا ، ادع بوليا ‥

(بيوتر ينصرف)

بيرتشيخين : ها هي بوليا ‥ ابنتي العزيزة ‥ طائري الطاهر ‥ هل طردتني بسببها ؟ أليس كذلك ؟ ألأنها خطفت من تاتيانا عريسها ؟

تاتيانا : أوه ! ان هذه حماقة ‥ وضاعة !

بيسيمينوف : (ينهض من مقعده ببطء) اسمع يابيرتشيخين ، لو عدت مرة ثانية ‥

يلينا : (تهمس لنيل) اخرجه من هنا ‥ سوف يتشاجران ٠

نيل : لا أريد أن أفعل ٠

بيرتشيخين : لن تطردني مرة ثانية يا فاسيلي فاسيلييفتش ! انني لم أفعل شيئا ‥ انني أحب بوليا ‥ فهي فتاة طيبة ، ومع ذلك فانني لا أحبذ ‥ انني يا أخي لا أحبذ ما فعلت كلا ! لمـاذا تأخذ ما ليس لها ؟ هذا لا يصح ‥

تاتيانا : لينا ‥ انني ‥ سأنصرف ٠

(تساعدها يلينا متأبطة ذراعيها ٠ يمران بجوار نيل فتقول له تاتيانا بصوت منخفض)

ألا تخجل من نفسك ؟ ‥ خذه من هنا ‥

بيسيمينوف : (متمالكا نفسه (بيرتشيخين ·· اسكت ! اجلس صامتا والا فاذهب الى دارك ··

(تدخل بوليا وخلفها بيوتر)

بيوتر : (لبوليا) اهدئى ·· أرجوك !

بوليا : فاسيلى فاسيلييفيتش ! لماذا طردت أبى فى المرة السابقة ؟
(بيسيمنوف يحدج فيها صامتا بصرامة ثم يجول بنظره بين الحاضرين)

بيرتشيخين : (مشيرا باصبعه) صه يا بنيتى ، لا تتكلمى ·· عليك أن تفهمى ·· لقد حاولت تاتيانا الانتحار ·· لماذا ؟ هه ؟ هل رأيت يافاسيلى فاسيليفيتش ؟ انني لا أقول الا الحقيقة ·· سأفصل بينكم جميعا بالحق ·· وكما ينبغى ·· انني بمنتهى البساطة ··

بوليا : انتظر يا أبى ··

بيوتر : عفوا يا بوليا ··

نيل : هلا صمت أنت !

بيسيمينوف : اسمعى يا بالاجيا ·· انك ضعيفة ··

بيرتشيخين : هى ؟ كلا ·· انها ··

بيسيمينوف : اسكت أنت ! اننى لا أفهم تماما ·· منزل من هذا ؟ من السيد هنا ؟ ومن القاضى ؟

بيرتشيخين : أنا ! سأفصل بينكم جميعا ·· بالترتيب ·· أولا لا تلمس شيئا ليس لك ، ثانيا : اذا أخذته فلتعده !

بيوتر : (لبيرتشيخين) اسمع ·· دعك من الثرثرة ·· تعال معى !

بيرتشيخين : لست أحبك يابيوتر ·· أنت شخص متكبر ·· وفارغ!
ولا تعرف شيئا ! ما هى شبكة المجارى ! آها ! لقد أخبرونى
ما هى يا أخى ··

(يجذبه بيوتر من ذراعه)

(لا تلمسنى ، انتظر ··

نيل : (لبيوتر) لا تلمسه ·· دعه !

بيسيمينوف (لنيل) ماذا تفعل هنا ·· تؤجج العداوة ·· هه ؟··

نيل : كلا ·· اننى أريد أن أفهم الأمر · ما ذنب بيرتشيخين ؟ ولماذا
طردته ؟ وما دخل بوليا فى هذا الأمر ؟

بيسيمينوف : هل تحقق معى ؟

نيل : وماذا فى ذلك ؟ أنت انسان ، وأنا كذلك ··

بيسيمينوف : (مسعورا) كلا ، أنت لست آنسانا ·· أنت سم ··
أنت وحش !

بيرتشيخين : ش ·· ش ·· صمتا ! بهدوء ونزاهة ·

بيسيمنوف : (لبوليا) أنت أيتها الخبيثة ·· أنت شحاذة !

نيل : (يصر على أسنانه) لا تصرخ··

بيسيمينوف : ماذا ؟ أخرج من هنا أيها الثعبان ·· لقد أطعمتك من
عرقى ودمى ··

تاتيانا : (من غرفتها) أبتاه ·· يا أبى :

بيوتر : (لنيل) حسنا ؟ أهذا ما كنت تريد : هلا خجلت من
نفسك !

بوليا : (بصوت منخفض) لا ·· تصرخ فى وجهى ·· اياك ! لست
جاريتك ·· ولا يمكن أن تهين الجميع ·· خبرنى ·· لماذا
طردت أبى ؟··

نيل (بهدوء) وأنا أيضا أطالبك بالاجابة ·· ليس أمامك مجانين ·· تجنب الشر ·· أنت من أطعمته وربيته !

بيسيمينوف : (يتمالك نفسه وبصوت أهدأ) اذهب يا نيل ·· تجنب الشر ·· أنت من أطعمته وربيته ··

نيل : لا تمن على بخبزك ، فقد دفعت ثمن كل ما أكلت !

بيسيمينوف : أنت ·· أكلت روحى ·· أيها الشقى ·· أنت ··

بوليا : (تسحب نيل من يده) فلنذهب من هنا !

بيسيمينوف : هيا ·· ازحفى أيتها الأفعى ·· أنت ·· كل ما حدث بسببك ·· لقد لدغت ابنتى ·· والآن تلدغينه ·· أيتها الملعونة بسببك ابنتى ··

بيرتشيخين : فاسيلى فاسيليفتش ! على رسلك ·· لا تفترى ··

تاتيانا : (تصرخ) أبى ·· ليس صحيحا ما تقول ·· ما هـذا يا بيوتر ؟ (تظهر فى باب غرفتها وتمد ذراعيها بضعف تخرج الى وسط الغرفة) لا داعى لهذا يا بيوتر ! أوه ، يا الهى قل لهم ياتيرينتى خريسا نفوفيتش ·· قل لهم ·· نيل ! ·· بوليا ! اخرجوا من هنا استحلفكم بالله ·· اذهبوا ·· لماذا كل هذا ··

(يتحرك الجميع بدون هدف · يصر تيتريف على أسنانه وينهض من المقعد ، ويتراجع بيسيمينوف أمام ابنته · يلتقط بيوتر أخته من ذراعيها ويتأبطه وينظر حوله بذهول) ·

بوليا : هيا بنا ·

نيل : حسنا (لبيسيمينوف) ها نحن نذهب ·· ولكن يؤسفنى أن الأمر حدث على مثل هذه الصورة الصاخبة !

بيسيمينوف : اذهب ·· اذهب ·· خذها معك !

نيل : سأذهب ولن أعود ··

بوليا : (بصوت متهدج عال) أيصح أن أتهم فى هذا ·· أتهم فى ما حدث لتانيا ؟ وهل كنت أنا المذنبة ؟ يا لك من شخص لا تستحى ··

بيسيمينوف : (بجنون) هلا ذهبت ؟

نيل : صه !

بيرتشيخين : لا تغضبوا أيها الفتيان ·· عليكم بالطيبة ··

بوليا : وداعا ! هيا يا أبى !

نيل : (لبيرتشيخين) هيا بنا !

بيرتشيخين : لا ··· لا أريد الذهاب معكم ··· ليست طريقنا واحدة ··· انى قائم بذاتى ··· ياتيرينتى ··· أنا وحدى ··· وعملى شريف ···

نيتريغ : تعال عندى ···

بوليا : هيا بنا قبل أن تطرد ···

بيرتشيخين : كلا ··· لن أذهب ··· ليست طريقنا واحدة ياتيرينتى ··· اننى أدرك هذا ··

بيوتر : (لنيل) هيا أخرجوا بحق الشيطان !

نيل : اننى ذاهب ·· وداعا ··· يالك من ···

بوليا : هيا بنا ··· هيا ···

(ينصرفان)

بيسيمينوف : (يصرخ فى أثرهم) ستعودان ·· وستطلبان الصفح !

بيوتر : دعك من هذا يا أبى ، كفى ! ...

تاتيانا : أبى ... ياعزيزى ... لا داعى للصراخ ..

بيسيمينوف : انتظروا ... مهلا ...

بيرتشيخين : والآن ... ها قد ذهبا ... حسنا ... فليذهبا !

بيسيمينوف : كان بودى أن أقول لهم فى الوداع ... أيها الشريران ، أنا الذى أطعمتكما وسقيتكما ... (لبيرتشيخين) أنت أيها الشيطان العجوز ! أيها الأحمق ! لقد جئت وأخذت تغمغم .. ماذا تريد ؟ ماذا ؟

بيوتر : كفى يا أبى !

بيرتشيخين : فاسيلى فاسيليفتش ، لا تصرخ ..! اننى أحترمك .. كنت أنت عجيب ! اننى أحمق ... صحيح ! ولكنى أفهم كيف تجرى الأمور ...

بيسيمينوف : (يجلس على الأريكة) لقد ... اختلط الأمر على ... لست أفهم ... ماذا حدث ؟ فجأة ... كما يشب الحريق فى الصيف فى الجفاف ... اختفى واحد .. قال لن أعود ... هه ، هكذا ببساطة ! يالك من ... كلا .. لا أستطيع أن أصدق هذا ...

تيتريف : (لبيرتشيخين) وماذا تفعل هنا ؟ لماذا أنت هنا ؟..

بيرتشيخين : للنظام ... اننى يا أخى أفكر ببساطة ... واحد ... اثنين ولا شىء أكثر ! أليست هى ابنتى ؟ حسنا جدا ... اذن فيجب عليها ... (يصمت فجأة) اننى والد سىء .. لا يجب عليها شىء ... فلتحيا كما يحلو لها ! ولكنى

أرثي لتانيا ... أرثي لك ... أرثي لكم جميعا يا اخوتي !
انه ! واذا أردتم الحقيقة ، فأنتم جميعا حمقى !

بيسيمينوف : اصمت أنت !

بيوتر : تانيا ... هل انصرفت يلينا نيكولايفنا ؟

يلينا : (من غرفة تاتيانا) انني هنا ... أعد الدواء

بيسيمينوف : لقد اختل تفكيري ... لست أفهم شيئا ... أمن المعقول أن نيل سيرحل هكذا ؟

اكولينا ايفانوفنا : (تدخل مضطربة) ماذا حدث ؟ نيل وبالاجيا هناك في المطبخ ... وأنا كنت في المخزن ...

بيسيمينوف : هل انصرفا ؟

اكولينا ايفانوفنا : كلا ... انهما يدعوان بيرتشيخين ... ان بالاجيا قالت لي : أخبري أبي ... وأخذت شفتاها ترتعشان ... ونيل يزمجر كالكلب ... ماذا حدث ؟

بيسيمينوف : (ينهض) ها أنذا سأذهب ... الآن ...

بيوتر : أبي ، لا داعي ! لا تذهب !

تاتيانا : أبي ... أرجوك ... لا داعي ..

بيسيمينوف : لا داعي لماذا ؟

اكولينا ايفانوفنا : ماذا حدث ؟

بيسيمينوف : نيل سيذهب ... بلا رجعة ... أتفهمين ؟

بيوتر : وماذا في ذلك ؟ سيذهب ، حسنا ! وما حاجتك اليه ؟ سيتزوج ... انه يريد أن يستقل بأسرته ...

بيسيمينوف : آه وهل أنا ... هل أنا بالنسبة له غريب ؟

كولينا ايفانوفنا : لماذا تنزعج أيها الأب ؟ فليذهب .. الله معه ! ونحن لدينا أولادنا ... ماذا يبقيك هنا يا بيرتشيخين ؟ — اذهب اليهما ؟

بيرتشيخين : ليست طريقنا واحدة ...

بيسيمينوف : كلا ... ليس الأمر هكذا ... اذا كنت تريد الرحيل فارحل ... ولكن كيف ؟ كيف رحل ... أى نظرات كان يوجهها الى ؟

(تخرج يلينا من غرفة تاتيانا)

تيتريف : (يتأبط ذراع بيرتشيخين ويسحبه خلفه إلى الباب) هيا نتناول كأساً من الفودكا ...

بيرتشيخين : ايه ، أيها الناى الألهى ... انت رجل جاد ...

(ينصرفان)

بيسيمينوف : لقد كنت أعرف أنه سيرحل عنا ... ولكن ، بهذه الطريقة يرحل وهى .. كيف كانت تصرخ ! الوقحة ... الطفلة ... سأذهب لأتحدث اليهما ...

اكولينا ايفانوفنا : كفاك أيها الأب ! انهما غريبان بالنسبة لنا ! لماذا نشفق عليهما؟ ؟ انصرفا ... وحسناً فعلا ...

يلينا : (لبيوتر بصوت منخفض) تعالى عندى ...

تاتيانا : (ليلينا) وأنا .. خذونى معكم ...

يلينا : هيا بنا ... هيا ...

بيسيمينوف : (يسمع دعوتها) الى أين ؟

يلينا : الى ... عندى ...

بيسيمينوف : ومن دعوت ؟ بيوتر ؟

يلينا : نعم ... وتانيا

بيسيمينوف : تانيا لا دخل لها هنا ··· أما بيوتر فلا داعى لان يذهب اليك ···

بيوتر : عفوا يا أبى ··· اننى لست صبيا ··· وكونى أذهب أم لا أذهب ···

بيسيمينوف : لن تذهب !

اكولينا ايفانوفنا : بيتيا لا تعاند أباك ·· هيا لا تعانده !

يلينا : (باستنكار) اسمح لى يا فاسيلى فاسيليفتش ··

بيسيمينوف : لا ، بل اسمحى لى أنت ! مع انكم قوم مثقفون ··· مع أنكم لقدتم الضمير ··· ولا تحترمون أحدا ···

تانيانا : (تصرخ بهيستيرية ! أبى ··· كيف !

بيسيمينوف : اسكتى ! مادمت لا تملكين من أمرك شيئا فاسكتى ··· مهلا ··· الى أين ؟

(تتجه يلينا الى الباب)

بيوتر : (يسرع خلفها ويشدها من ذراعها) انتظرى ·· دقيقة واحدة ·· يجب أن نوضح الأمر ··· حالا ···

بيسيمينوف : يجب أن تسـمعونى ··· اصنعوا معروفا ··· ولتسمعونى ·· أخبرونى ، ماذا هناك ؟

(يدخل بيرتشيخين مزهوا منتشيا وخلفه تيتريف يبتسم أيضا · يقفان عند الباب يتبادلان النظرات · بيرتشيخين يغمز بعينه مشيرا الى بيسيمينوف ويلوح بيده)

الكل ينصرفون الى شتى المقاصد ··· ودون أى توضيح — لمقاصدهم ··· عبثا ··· شىء مؤلم ··· سلوك سىء ! الى

أين يمكنك أن تذهب يا بيوتر ؟ ماذا تكون أنت ؟ كيف تريد أن تعيش ؟ وماذا تنوى أن تفعل ؟ (تشهق اكولينا ايفانوفنا بالبكاء · يقف بيوتر ويلينا وتاتيانا صفا واحدا أمام بيسيمينوف · وعنـــد ما قال : « الى أين يمكنـــك أن تذهب ؟ · · · » تبتعد تاتيانا تجاه المنضدة حيث تقف الأم ·
ــ بيرتشيخين يرى لتيتريف شيئا ما عن طريق الاشـــارات ويهز رأسه ويشيح بيديه كما لو كان يطير طيورا)
ان لى الحق أن أسأل · · · أنت ما زلت صغيرا · · · مازلت غبيا · · · وأنا قطعت أوصالى ثمانية وخمسين سنة في الكد من أجل أولادى · · ·

بيوتر : لقد سمعت هذا يا أبى · · · سمعته مائة مرة · · ·

بيسيمينوف : مهلا · · · صه !

اكولينا ايفانوفنا : آه · · · بيتيا ·· بيتيا ! · · ·

تاتيانا : أماه · · · أنت لا تفهمين شيئا · · ·

(تهز اكولينا ايفانوفنا رأسها)

بيسيمينوف : اسكت · · · ماذا بوسعك أن تقول ؟ الام تشير ؟ ·· ليس هناك شيء · · ·

بيوتر : انك تعذبنى يا أبى ! ماذا تريد ؟ ماذا تطلب ؟

أكولينا ايفانوفنا : (تصرخ فجأة) كلا · · · انتظر · · · وأنا أيضا لى قلب ! · · · ولى أيضا صوت ! ماذا تفعل بنا يا بنى ؟ ماذا انتويت ؟ من سألت ؟

تاتيانا : هذا فظيع · · · ان هذا لأشبه بمنشار ثلم (لأمها) ــ أنت تمزقين روحى · · · وجسدى · · ·

اكولينا ايفانوفنا : أهى أمك المنشار ؟ أمك ؟

بيسيمينوف : انتظرى أيتها العجوز ! دعيه هو ··· يتلكم ··

يلينا : (لبيوتر) يكفينى هذا لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك ··· أنا ذاهبة !

بيوتر : أرجوك انتظرى ! سيتضح كل شىء الآن ···

يلينا : كلا ، ان هذا مستشفى للأمراض العقلية ··· هذا ··

تينريف : اذهبى يا يلينا نيكولايفنا ! أرسلى بهم جميعا الى الشيطان !

بيسيمينوف : اسمع أيها السيد ! أنت ···

تاتيانا : أليس لهذا من آخر ؟ اذهب يا بيوتر !

بيوتر : (يصرخ تقريبا) أبى ·· أنظر ··· أمى ··· ها هى عروسى ! (صمت · الجميع يحدقون فى بيوتر ثم تنزل اكولينا ايفانوفنا ذراعيها وتنظر الى زوجها فى جزع ··· بيسيمينوف يميل بجسمه كله الى الخلف ويخفض رأسه كما لو كان أحد قد دفعه تاتيانا تتنهد بصعوبة وتتجه ببطء مسدلة الذراعين الى جانبها نحو البيانو)

بيتريف : (هامسا) أحسنت اختيار اللحظة ···

برتشيخين : (يبرز الى الامام) هذا كل ما هنالك ! هاهم ··· جميعا يطيرون ! أيه أيها الفتيان ··· طيروا من أقفاصكم ·· كالطيور فى عيد العذراء !

يلينا : (تخلص ذراعها من قبضة بيوتر) دعنى ··· انى لا أستطيع

بيوتر : (مدمدما) الآن أصبح كل شىء واضحا ··· مرة واحدة !

بيسيمينوف : (ينحنى لابنه) حسنا ، شكرا يا بنى ... على هذا الجبر السار !

بولينا ايفانوفنا : (تبكى) أهلكت نفسك يا بنى ... انظر أهى تناسبك ...

بيرتشيخين : هى ؟ تناسب بيوتر ؟ نعم ... ماذا دهاك أيتها العجوز ؟ نعم ... وماذا يساوى هو ؟

بيسيمينوف : (يخاطب يلينا ببطء) وشكرا لك أيضا أيتها السيدة ! ـ والآن فقد وقع هو ! كان عليه أن يدرس ... ولكنه الآن ... يا للبراعة ! ولكننى كنت أحس بذلك .. (بغل) أهنئك على الفريسة ... بيتيا ... اننى أتبرأ منك ... أما أنت ، أنت ... هل اقتنصته ؟ هل سرقته ؟ أيتها القطة ... أيتها السافلة ....

يلينا : اياك أن تجرؤ !!

بيوتر : أبى .... أنت ... مجنون !

يلينا : لا ... انتظر ... نعم هذا صحيح ... نعم أنا التى أخذته منكم .. بنفسى .. أنا بنفسى .. أنا التى قلت له ... عرضت عليه أن يتزوجنى ! أتسمعون ؟ أنتم أيها البوم أتسمعون ؟ أنا التى انتزعته منكم ! اننى أرثى له ... لقد عذبتموه ... لستم بشرا بل صدأ ما .... ان جبنكم هو الهلاك له .. انكم تظنون ـ أوه ، أنا أعلم ـ انكم تظنون اننى فعلت هذا من أجلى أنا ؟ ظنوا كما تشاءون .. أوه .. كم أكرهكم !

تاتيانا . لينا ... لينا ... ماذا دهاك ؟

بيوتر : يلينا ••• هيا بنا !

يلينا : أتعلمون أنني ربما لا أزف اليه ؟ أنتم سعداء ؟ أليس كذلك ؟ أوه •• هذا محتمل جدا •• لا تخشوا شـيئا قبل الأوان ••• انني سأعيش معه ••• هكذا ••• بدون زفاف ••• ولـكني لن أعطيه لـكم •• لن أعطيه •• لن أدعكم تعذبونه أكثر من ذلك ، كلا ! وهو أيضا لن يأتي ــ اليكم ••• أبدا ••• أبدا ••• أبدا !

تيتريف : برافو ، برافو ، أيتها المرأة !

اكولينا ايفانوفنا : (وأبتاه ••• أيها الأب ، ما هذا أيها الآب ؟!

بيوتر : (يدفع يلينا تجاه الباب) هيا ••• هيا ••• اذهبي !

(تخرج يلينا وتأخذ بيوتر معها)

بيسيمينوف : (ينظر حواليه باستسلام) هـكذا اذن ؟ (فجأة يصرخ بقوة وبسرعة صرخة حادة قاطعة) استدعوا البوليس (يدق بقدميه) سأرميك خارج الشـقة ••• غدا ••• ألويل لك ••••

تاتيانا : أبي ••• ماذا بك ؟

بيرتشيخين : (مندهشا ولا يفهم شيئا) فاسيلي فاسيليفتش ! •• يا عزيزي ، ماذا دهاك ؟ لماذا تصرخ ؟ كان الاجدر بك أن تفرح ••

تاتيانا : (تقترب من أبيها) اسمع يا أبي ••••

بيسيمينوف : آه ، أهو أنت ! لم يبق الا أنت ! لماذا لا ترحلين ؟ اذهبي أنت أيضا •• لا تجدين من ترحلين معه ؟ ولا المكان ؟ أضعت الفرصة ؟

(تترنح تاتيانا وتبتعد مسرعة الى البيانو · تسرع اليهـا
كولينا ايفانوفنا مرتبكة ومنظرها يدعو الى الرثاء)

بيرتشيخين : دعك من هذا يا فاسيلي فاسيليفتش ! فكر ·· ان بيوتر لن يدرس بعد الآن ··· ما حاجتك الى ذلك ؟

(يحدق بيسيمينوف في وجه بيرتشيخين ببلادة ويهز رأسه موافقا)

ان لديه ما يعيش به ··· فقد ادخرت أنت مالا ··· وزوجته امرأة ممتازة ··· بينما أنت تصرخ وتصخب ··· أفق أيها الرجل العجيب !

(تيتريف يقهقه)

اكولينا ايفانوفنا : (تعول) كلهم تركونا ··· هجرونا !

بيسيمينوف : (يجول ببصره) صمتا أيتها الأم ! سيعودون ··· لن يجسروا ··· الى أين سيذهبون ؟ (لتيتريف) ما الذى يبقيك هنا تتشفى ؟ أنت أيها القرحة ····· أيها الشيطان ! ·· ارحل من الغرفة ! غدا تكون قد رحلت ! انكم عصابة بأسرها ···

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفتش ··
بيسيمينوف : أغرب عن وجهى ، أيها البائس ·· أيها الشريد ···

اكولينا ايفانوفنا : تانيا ··· تانيا ···· بنيتى العزيزة ··· أيتها — المريضة المسكينة ··· ماذا سيحدث ؟

بيسيمينوف : كنت تعرفين يا بنيتى كل شىء ·· وتسكتين ·· أهى مؤامرة ضد أبيكم ؟ (يبدو كأنه خاف فجأة) أتظنين ··· أنه لن يهجرها ؟ هذه المرأة ؟ أيها البائسون ··· الضالون !

تاتيانا : دعوني ... لا تجعلوني أكره

اكولينا ايفانوفنا : بنيتي ... يالحظك العاثر ... لقد تعذبنا ... جميعنا تعذيبا أليما ... لماذا ؟

بيسيمينوف : ومن عذبنا ؟ انه نيل ، الشقي ... الوغد ! وهو الذي جلب ... ابننا ... وعذب ابنتنا ! (يلمح تيتريف الواقف بجوار الدولاب) وأنت أيها الضال ماذا تريد ؟ لماذا تقف هنا ؟ لماذا لا ترحل عنا !!

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفتش ... وما ذنبه هو ؟ تبا لك ... لقد فقد العجوز صوابه !

تيتريف : (بهدوء) لاتصرخ أيها العجوز ... لن تستطيع أن تطرد كل ما يزعجك ... ولا تقلق ... ابنك سيعود ...

بيسيمينوف : (بسرعة) وكيف ... كيف عرفت ؟

تيتريف : لن يذهب بعيدا عنك ... لقد صعد مؤقتا الى أعلى .. فقد شدوه الى هناك ... ولكنه سيهبط ... وعندما تموت سيغير قليلا هذه الحظيرة ويعيد ترتيب الاثاث فيها ، ويعيش – مثلك – في هدوء وراحة وحكمة ...

بيرتشيخين : (لبيسيمينوف) أنظر ... أيها العجيب ... المتهور ! هذا الانسان يرجو لك الخير ... ويطيب خاطرك بالكلمات الرقيقة ! بينما أنت تصرخ في وجهه ... ان تيرينتي يا أخي شخص حكيم ...

تيتريف : سيعيد ترتيب الاثاث ويعيش وهو واثق أنه قد قام بواجبه تجاه الحياة والناس ... انه مثلك تماما .

بيرتشيخين : كقطرتين من الماء !

تيتريف : مثلك تماما ··· جبان وغبي ···.

بيرتشيخين : (لتيتريف) مهلا ··· ماذا دهاك ؟

بيسيمينوف : اسمع ··· تكلم ولا تسب ··· كيف تجرؤ ؟!

تيتريف : وسيكون بخيلا في زمانه ···· ومثلك تماما متغطرسا وقاسيا ·

(يحدق بيرتشيخين بدهشة في وجه تيتريف ولا يفهم هل هو يواسي العجوز أم يسـبه · يبدو على وجه بيسيمينوف أيضا عدم الفهم ولكن حديث تيتريف يثير شغفه ·)

بل وسيكون كذلك بائسا كما أنت الآن ·· ان الحياة تسـير أيها العجوز ومن لا يستطيع اللحاق بها فانه يبقى وحيدا ···

بيرتشيخين : هه ؟ أتسمع ؟ اذن فكل شيء يسير كما ينبغي ··· وأنت تغضب !

بيسيمينوف : أنتظر ··· كف عن هذا !

تيتريف : وكذلك لن يرحموا ابنك المسكين البائس وسيقولون له الحقيقة في وجه ، كما أقول لك الآن «لماذا تعيش ؟ وما صنعت من خير ؟ » ولن يرد ابنك كما لا ترد أنت الآن ···

بيسيمينوف : نعم ··· انك تتكلم الآن ··· انت دائمـا تتكلم بسلاسة ! ولكن ماذا في قلبك ؟ كلا ، انني لا أصدقك ! ومع ذلك أرحل عن الغرفة ··· يكفيني ··· لقد احتملتكم وكفاني الآن ··· أنت أيضا كنت توحي بأشياء تضرني ···

تيتريف : آه لو كنت أنا ! ولكن لا ··· لست أنا ··· (ينصرف)

بيسيمينوف : (يهز رأسه) حسنا ··· سنصبر ··· لا بأس ···

سننتظر ! صـبرنا طول الحيـاة ٠٠٠٠ وسنصبر الآن !
(يذهب الى غرفته) (يقف بيرتشيخين وسط الغرفه ويطرف بعينيه بلا فهم تاتيانا حولها بعيون فزعه وهى جالسـة على المقعد بجوار البيانو ٠ يسـمع فى غرفة الوالدين حديث خافت)

بيرتشيخين : تانيا ٠٠٠ تانيا ٠٠٠

(تاتيانا لا تنظر اليه ولا تجيبه)

تانيا ٠٠٠ لماذا تفرق هؤلاء ٠٠٠٠ لماذا يبكون ؟ هه ؟

(ينظر الى تاتيانا ويتنهد) يالهم من غريبى الاطوار ! (ينظر الى باب غرفة الوالدين ويتجه الى باب المدخـل وهو يهز رأسه) سأذهب الى تيرينتى ٠٠٠ يا لكم من غريبى الاطوار ! (تنحنى تاتيانا ببطء معتمدة على مفاتيح البيانو ٠ يدوى فى الغرفة نغم عال متنوع لأوتار كثيرة ٠٠٠٠ ويصمت ٠)

ستار

سنة ١٩٠١

فهرس

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٤٨٥٨

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المركز الرئيسي ١١١٧ شارع كورنيش النيل – القاهرة – ج ع م
تليفون : ٧١٠٥٥ / ٧١٠٥٨ تلغرافياً : بانشرو

الادارة العامة للتوزيع : ١٧ شارع قصر النيل – القاهرة – ج ع م .
تليفون : ٤٥٥٨٩ / ٤٧٤٣٦

مكتبات القومية للتوزيع في ج . ع . م .

القاهرة

٣٦ شارع شريف	ت : ٤٠٠١٢	١٩ شارع ٢٦ يوليو	ت . ٥٥٠٣٢
٥ ميدان عرابي	ت : ٤٦٣٨٣	٢٢ شارع الجمهورية	ت . ٩١٤٢٢٣
١٣ شارع المتديان	ت . ٢١١٨٧	الباب الأخضر بالحسين	ت . ٩١٣٤٤٧

الاسكندرية : ٤٩ شارع سعد زغلول	٢٢٩٢٥	الجيزة . ١ ميدان الجيزة	ت : ٨٩٨٣١١
دمنهور شارع عبد السلام الشاذلي	٢٦٠٥	المنيا . شارع ابن خصيب	ت : ٤٤٥٤
طنطا : ميدان الساعة	٢٥٩٤	اسيوط . شارع الجمهورية	ت : ٢٠٣٢
المحلة الكبرى : ميدان المحطة	٤٢٧٧	اسوان . السوق السياحي	ت : ٢٩٣٠
المنصورة . أول شارع الثورة	٣٨٦٤		

مراكز التوزيع خارج ج . ع . م

لبنان الشركة القومية للتوزيع – بيروت – شارع سوريا بناية أبناء صمدي وصالحة
العراق . الشركة القومية للتوزيع – بغداد – ميدان التحرير – عمارة فاطمة

توكيلات وعملاء دائمين خارج ج . ع . م

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد السالم بالكويت
الاردن . مكتبة المحتسب – عمان
ليبيا . محمود عارف الشويهدي – طرابلس
اندونيسيا . عبد الله محمد العيدروس – جاكرتا
تونس . الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – تونس
الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة
المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ٤٢ – ٤٤ الشارع الملكي – الاحباس – الدار البيضاء
هولندا . مكتبة بريل – ليدن

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
في خدمة القارئ العربي

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

تقدم أحدث ما صدر من انتاجها

الروائي والأرض

تأليف: د. عبد المحسن طه بدر

"دراسة أدبية جادة وعميقة فى رصد العلاقة بين الذات والموضوع فى الرواية العربية"

٢٢٧ صفحة • الثمن ٣٠ قرشا

القصص الشعبي في السودان

"دراسة فى فنية الحكاية ووظيفتها"

تأليف: د. عز الدين اسماعيل

٢٣٢ صفحة • الثمن ٣٥ قرشا

تطلب من مكتبات القومية للتوزيع ومن المكتبات العامة

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر